

[المعرفة العقديّة في المدرسة الأشعرية بالغرب الإسلامي - آليات البحث ومقاصد الخطاب - من خلال جهود علماء الغرب الإسلامي]

الباحث: محمد حبيب الله.

- الماستر في العلوم الإسلامية ومقاصدها المنهجية والمعرفية/ - الماجستير في الهندسة المدنية تخصص الجيوتقنية/ - الماستر في اللغة الفرنسية وآدابها.

- باحث في سلك الدكتوراه، الفكر الإسلامي: التحديات المعرفية والخصائص المنهجية بكلية الآداب والعلوم الإنسانية المحمدية، جامعة الحسن الثاني - المغرب.

الملخص:

هذا البحث يحاول أن يثير مجموعة من القضايا والإشكالات التي تكشف النقاب عن مكامن السر في تشبث علماء الغرب الإسلامي بالمعرفة العقديّة بمنهج المدرسة الأشعرية. مع كشف آليات البحث ومقاصد الخطاب من خلال جهودهم في خدمة العقيدة الأشعرية ومعرفة نقط القوة في هذا المذهب التي منحته القدرة على التكيف والاستمرارية وسرعة الانتشار. وبتبعتها لمختلف الأطوار التاريخية التي مر بها هذا الفكر في هذه المنطقة بالذات سنكشف أوجه تميزه واستقلاليته عن المدرسة الأشعرية في المشرق وإن كان مستمدا منها، مما يجلي طبيعة العلاقة الجدلية القائمة بين هذا الفكر وخصوصية الواقع المغربي، وملابساته التاريخية والاجتماعية والسياسية التي عرفها. سيما وأن الفكر الأشعري المغربي قد عرف قفزة نوعية، سواء من حيث تطوره التاريخي الحضاري، أو من حيث مضامينه وثوابته، أو خصائص منهجيته الفكرية والنظرية في المعرفة العقديّة ومقاصدها. التي حققت له الاستقرار وجنبته الصراعات العقائدية والطائفية المتطرفة كما جنبته الفتن والقلقل. والمقالة تُدكّرُ بإسهام المغاربة في الحفاظ على عقيدة أبي الحسن الأشعري وتراثه.

الكلمات المفتاحية:

المعرفة العقديّة - المدرسة الأشعرية - الغرب الإسلامي - آليات البحث والمناهج - مقاصد الخطاب - جهود علماء الغرب الإسلامي

[The Theological knowledge in the Ash'ari school of the Islamic West - the mechanisms of research and the purposes of the discourse - through the efforts of scholars of the Islamic West]

Summary:

This research tries to raise a set of issues and dilemmas that will help uncover the secret of the clinging of Islamic scholars to the doctrinal knowledge of the Ash'ari school curriculum. With the discovery of the mechanisms of research and the purposes of the discourse through their efforts in the service of the Ash'ari belief and knowledge of the strengths of this doctrine that gave it the ability to adapt, continuity and speed of spread.

By tracing the various historical phases that this thought has gone through in this region, we will reveal its distinctions and independence from the Ash'ari school in the East, even if it is derived from it, thus demonstrating the nature of the dialectical relationship existing between this thought and the specificity of the Moroccan reality, and its historical, social and political circumstances that it knew. Especially since Moroccan Ash'ari thought has experienced a quantum leap, whether in terms of its historical and civilizational development, or in terms of its contents and constants, or the characteristics of its intellectual and theoretical methodology in the doctrinal knowledge and its purposes. Which brought him stability and spared him extremist ideological and sectarian conflicts, as well as spared him strife and unrest. The article recalls the Moroccan contribution to preserving the faith and heritage of Abi Al-Hassan Al-Ash'ari.

key words: Theological knowledge - the Ash'ari school - the Islamic West - Research mechanisms and approaches - the purposes of the discourse - the efforts of the scholars of the Islamic West.

المقدمة:

يعد المذهب الأشعري منظومة فكرية عقديّة، أمدت علماء الأمة الإسلامية بمنهج وبقدرة فائقة على الدفاع - الجامع بين النقل والعقل - عن جميع قضايا العقيدة المتكاملة، وتمكن المذهب الأشعري من وقف كثير من المدارس التي كانت تقدم نفسها للناس على أنها المتفردة بمخاطبة الفكر دون سواها كفكر المعتزلة والخوارج والشيعة وغيرها.

لقد ارتبطت العقيدة الأشعرية بتاريخ المغرب ارتباطا قويا وطويلا امتد أكثر من عشرة قرون، ومثل لها ثابتا من ثوابت هويتها مع الفقه المالكي والتصوف السني، ولهذا فإن الاهتمام بتاريخ حضورها وتطورها في هذا البلد يعد مطلباً علمياً جديراً بالاهتمام والمتابعة.

لذلك، فإن هذا البحث سيحاول أن يثير مجموعة من القضايا والإشكالات التي ستساعد في كشف النقاب عن مكن السر في تشبث علماء الغرب الإسلامي بالمعرفة العقديّة بمنهج المدرسة الأشعرية. ثم ما هي آليات البحث ومقاصد الخطاب

من خلال جهود علماء الغرب الإسلامي في خدمة العقيدة الأشعرية وما هي نقط القوة في هذا المذهب التي منحتة القدرة على التكيف والاستمرارية؟

ومما لا شك فيه، أن تتبعنا لمختلف الأطوار التاريخية التي مر بها هذا الفكر في هذه المنطقة بالذات سيكشف لنا الآليات التي كانت تحركه، وأوجه تميزه واستقلالته عن المدرسة الأشعرية في المشرق، مما يكشف طبيعة العلاقة الجدلية القائمة بين هذا الفكر وخصوصية الواقع المغربي المميز، وملايساته التاريخية والاجتماعية والسياسية والحضارية التي عرفها. سيما وأن الفكر الأشعري المغربي قد عرف قفزة نوعية، سواء من حيث تطوره التاريخي، أو من حيث مضامينه وثوابته، أو منهجيته الفكرية والنظرية ومقاصد خطابه..

وقد بذلت ما في الوسع من الجهد سائلاً المولى القدير أن يوفقي للصواب، متوخياً تحقيق بعض الأهداف، أذكر منها:

- بيان جهود علماء الغرب الإسلامي في حفظ قواعد أصول الدين عن أن تزلزلها شبه المبطلين وتحريف الغالين وتأويل الجاهلين.

- كشف المناهج وآليات البحث وكذا مقاصد الخطاب عند علماء الغرب الإسلامي لخدمة أصول الدين عامة والعقيدة الأشعرية خاصة. مع بيان نقط القوة في هذا المذهب التي منحتة القدرة على التكيف والاستمرارية والانتشار وسبب تمسك المغاربة به.

- الإشكال:

إن هذا البحث سيحاول أن يثير مجموعة من القضايا والإشكالات التي ستساعد في كشف النقاب عن مكن السر في تثبيت علماء الغرب الإسلامي بالمعرفة العقديّة في المدرسة الأشعرية من خلال الإجابة عن بعض أهم التساؤلات: - ما هي آليات البحث ومقاصد الخطاب من خلال جهود علماء الغرب الإسلامي في خدمة العقيدة الأشعرية وأوجه التميز والاستقلالية عن المدرسة الأشعرية في المشرق؟ - وما هي نقط القوة في هذا المذهب التي منحتة القدرة على التكيف والاستمرارية بهذه الجهة من العالم الإسلامي؟

- أهمية الموضوع:

تكمن أهمية الموضوع في أنه يعين الباحثين والدارسين على فهم الدرر العقدي، وتصحيح النية والاعتقاد. إذ به يرجى قبول العمل وغاية ذلك كله الفوز بسعادة الدارين¹ وتحقيق الوحدة والاستقرار. وبهذا تحفظ قواعد الدين عن أن تزلزلها شبه المبطلين وتحريف الغالين وتأويل الجاهلين. ويحقق الأمن الروحي اعتماداً على الدليل لا استرسالاً مع التقليد. وإرشاد المسترشدين بإيضاح المحجة، وإلزام المعاندين بإقامة الحجة، وغير ذلك، ويُستلج المهتم به بأدوات تؤهله أن يجلي كثيراً من الإشكالات والشبهات التي يطرحها قوم من المستشرقين الغير منصفين، وغيرهم من المنحرفين المتقدمين والمتأخرين. وحاولت أن استقرئ بعض الكتب التي ناقشت وعالجت هاته القضايا لإنجاز هذا البحث الذي يتكون من مقدمة وأربعة مطالب، وخاتمة.

- المطلب الأول: الفكر الأشعري بالغرب الإسلامي

لقد تأثر الغرب الإسلامي بالتحولات الفكرية التي عرفتها بلدان المشرق. كما أن علماء المشرق أنفسهم كانوا حريصين على أن تصل آراؤهم ومذاهبهم إلى مختلف ربوع العالم الإسلامي. وكانت بوابة الغرب الإسلامي ومعبّر الآراء والمذاهب إليه تونس -أو إفريقية بتعبير القدماء- وخاصة حاضرتها القيروان.

ومن أوائل الذين نشروا الأشعرية بالقيروان أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الله الزبيدي المعروف بالقلانسي (ت 359هـ)². وقد كان ابن أبي زيد القيرواني على صلة علمية بأبي عبد الله بن مجاهد البصري (ت 370هـ) أحد تلامذة الإمام أبي الحسن الأشعري، حتى إن بعض المصادر جازمت بتحول ابن أبي زيد إلى المذهب الأشعري بعد كتابته لرسائله الشهيرة التي جاءت مقدمتها العقدية على مذهب السلف في تفويض معاني الصفات الإلهية وتجنب التشبيه والتأويل معاً. وكان لتلاميذ الإمام أبي بكر الباقلاني (ت 403هـ) -وهو من أعلام المالكية والأشعرية في الآن نفسه- دور بالغ الأهمية في نشر الأشعرية بتونس. ومنهم أبو الحسن القابسي (ت 403هـ)؛ وأبو عمران الفاسي (ت 430هـ) الذي استقر بالقيروان بعد عودته من المشرق.

وفي الفترة نفسها تقريباً كان العلماء الذين عادوا من الرحلة إلى المشرق ينشرون الأشعرية في أقصى الغرب الإسلامي؛ أي في الأندلس. ومنهم الإمام أبو محمد عبد الله بن إبراهيم الأصيلي (ت 392هـ)، والمحدث أبو عمر الظلمنكي (ت 429هـ)، وأبو عمرو الداني المقرئ (ت 444هـ)، والقاضي أبو الوليد الباجي (ت 474هـ).

أما في المغرب الأقصى فقد احتاج انتشار الأشعرية إلى مدة أطول نسبياً لأسباب كثيرة؛ منها أن المغرب لم يعرف المذاهب العقدية غير السنة كالاعتزال والتشيع إلا في حدود ضيقة وفي مناطق محصورة؛ ولذلك لم تكن الحاجة ماسة عند العلماء إلى تبني الأشعرية في بيئة قلَّ فيها الخلاف العقدي، وكان يفهم موقف كبار العلماء من سلف الأمة انتشار الأشعرية بالمغرب إلى القرن السادس الهجري.

ومن أبرز العلماء الذين نشروا الأشعرية في المغرب أبو بكر محمد بن الحسن المرادي الحضرمي القيرواني (ت 489هـ) صاحب "التجريد في علم الكلام"، وتلميذه أبو الحجاج يوسف بن موسى الضيرير (ت 520هـ) شيخ القاضي عياض وصاحب أرجوزة وافية في العقيدة. ومنهم أبو عبد الله محمد بن خلف الإلبيري (ت 537هـ) صاحب "الأصول إلى معرفة الله والرسول" و"الرد على أبي الوليد بن رشد في مسألة الاستواء".

وظلت الأشعرية في عهد المرابطين حبيسة الأوساط العلمية؛ لأنهم كانوا شديدي التحفظ مما يمكن أن يزعزع الوحدة الدينية والمذهبية للمجتمع. وكانت نزعة المحافظة عند طائفة من العلماء المقربين من أمراء المرابطين وحرص طائفة أخرى على إرضائهم من أسباب هذا الوضع.

ومع الموحدين -الذين وظفوا قضايا العقيدة في نزع المشروعية من المرابطين وأهمومهم بالتشبيه والتجسيم- ستعرف الأشعرية بالمغرب مرحلة مد عام وكاسح لتكامل الأدوار ما بين سلطة العلماء والسلطة السياسية. وبالإضافة إلى ما لقيته "مرشدة" ابن تومرت وكتابات في الاعتقاد من احتفاء أئمة العلماء إلى دراسة وتدريس المصادر الحقيقية للمذهب الأشعري ككتاب "الإرشاد" لإمام الحرمين أبي المعالي الجويني. ومن أبرز علماء هذه الفترة أبو عمرو عثمان بن عبد الله السلاجلي (ت 574هـ) الذي نبغ

¹- أنظر: المواقف في علم الكلام للإيجي ص: 8. / شرح جوهره التوحيد للبايجوري، ص: 45 / رسالة التوحيد للشيخ محمد عبده، ص: 79.

²- أو 361هـ.

في علم العقيدة وكثر تلامذته الذين أخذوا عنه العقيدة الأشعرية حتى لقب بـ "منقذ أهل فاس من التجسيم". وقد عرفت رسالته المختصرة "العقيدة البرهانية" انتشاراً واسعاً في المغرب، وأقبل عليها العلماء يشرحونها ويدرسونها. وإذا كانت الأشعرية قد التحمت بالتدريج بالفقه المالكي منذ العصر الموحد؛ فإن معظم أهل التصوف أيضاً كانوا يميلون إلى المذهب الأشعري. والاتحام بين المكونات الثلاثة للتدين في المغرب هو الذي سيلخصه لاحقاً الفقيه عبد الواحد بن عاشر (ت 1040 هـ) ³ - وهو يوضح عمدة منظومته التعليمية "المرشد المعين على الضروري من علوم الدين" - قائلاً:

في عقد الأشعري وفقه مالك *** وفي طريقة الجنيد السالك

وبقيت "البرهانية" و"مرشدة" ابن تومرت مهيمتان على مجالس العلم بالمغرب إلى أن أُلّف العلامة محمد بن يوسف السنوسي (ت 895 هـ) ضمن ما أُلّف في العقيدة رسالته "أم البراهين" أو "العقيدة الصغرى". فكتب لها الانتشار لصغر حجمها، وبعدها عن التعقيد. ظلت "أم البراهين" وشروح العلماء عليها مرجعاً في علم العقيدة بالمغرب في حلقات الدرس إلى عهد قريب. ولم يكن يزاومها على هذه المكانة إلا بعض المنظومات العقيدية باللغة الأمازيغية التي كان بعض الفقهاء يؤلفونها لتكون مرجعاً لطلبة منطقة سوس في بعض الزوايا.

وقد أسهمت الأشعرية رفقة المذهب المالكي والتصوف السني في خلق انسجام مذهبي وعقدي في المغرب جنبه كثيراً من القلاقل والفتن التي كانت تقع في مناطق مختلفة من العالم الإسلامي بسبب الخلافات العقيدية. وبرغم بروز اتجاهات عقيدية غير أشعرية عند بعض علماء المغرب بعد القرن السادس الهجري؛ فإن التعبير عن الخلاف كان محصوراً في السجال العلمي. ولم تتحول الأشعرية إلى موضوع نقاش وأخذ ورد في المجتمع المغربي، بل في الغرب الإسلامي عموماً إلا بعد أن تعرضت لهجوم ممنهج في العقود الأخيرة...

- المطلب الثاني: المعرفة العقيدية عند الأشاعرة بين النقل والعقل

منهج المعرفة العقيدية عند الأشاعرة يعتمد الإطار المرجعي المتمثل في الوحي من الكتاب والسنة، كما يعتمد الإطار الاستدلالي المتمثل في العقل. وكان الأشاعرة مؤتمنين بالكتاب والسنة وإجماع الأمة، متمسكين بالدلائل العقلية والشواهد السمعية، وإذا تأملت كتب الحديث المتفق على صحتها كموطأ مالك رحمه الله وصحيح البخاري ومسلم وجدتهم ناطقين عنهما وناقلين منهما قديهم في ذلك الإمام أبي الحسن الأشعري الذي "لم يأت برأي ابتدعه ولا مذهب اخترعه، وسبيله في بسط القول في مسائل الأصول كسبيل مالك - رحمه الله - وغيره من الفقهاء فيما بسطوا القول فيه من مسائل الفروع..." ⁴

وقد أصبح المذهب الأشعري مرجعاً أساساً لحفظ عقائد المسلمين، والرد على المخالفين، يقول الإمام القاضي عياض ⁵ (476 هـ - 544 هـ) في ترجمته للإمام أبي الحسن الأشعري: "وصنف لأهل السنة التصانيف، وأقام الحجج على إثبات السنة، وما نفاه أهل البدع من صفات الله تعالى، ورؤيته، وقدم كلامه، وقدرته، وأمور

³ عبد الواحد بن عاشر 990 هـ - 1040 هـ. هو أبو محمد عبد الواحد بن أحمد بن علي ابن عاشر الأنصاري، المعروف بابن عاشر، وهو من حفدة الشيخ أبي العباس ابن عاشر السللاوي ت 765 هـ. فقيه عالم من المغرب. يعد من أبرز علماء المذهب المالكي واشتهر بمنظومته "المرشد المعين على الضروري من علوم الدين" والتي نظم فيها الفقه المالكي، بالإضافة إلى باب العقيدة والتصوف، والتي تعد مرجعاً مهماً عند علماء المذهب المالكي. وساهم ابن عاشر في توفير الغطاء الشرعي لحركة المجاهد العياشي.

⁴ عيون المناظرات للإمام السكوبي، ص: 225.

⁵ أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن موسى بن عياض السبتي اليحصبي (476 هـ - 544 هـ / 1083 م - 1149 م) حافظ ومحدث المغرب والأندلس قاض مالكي. العلامة والفقيه المؤرخ الذي كان من بين الناس العارفين بعلوم عصره.

السمع الواردة من الصراط والميزان والشفاعة والحوض وفتنة القبر التي نفت المعتزلة، وغير ذلك من مذاهب أهل السنة والحديث، فأقام الحجج الواضحة عليها من الكتاب والسنة والدلائل الواضحة ودفع شبه المبتدعة⁶

وهناك نص آخر للقاضي عياض يؤكد فيه هذه الحقيقة التي لا تترك مجالاً للشك في كون الإمام أبي الحسن الأشعري ظل وفيها لمذاهب أهل السنة والجماعة في مجال الاشتغال العقدي، يتعلمون على يديه أساليب الدفاع عن العقائد الدينية. حتى أصبح مصطلح الأشعرية مرادفاً لمصطلح أهل السنة يقول القاضي عياض: "... فلما كثرت تواليه - الإمام الأشعري - وانتفع بقوله، وظهر لأهل الحديث والفقهاء ذبه عن السنن والدين، تعلق بكتبه أهل السنة، وأخذوا عنه، ودرسوا عليه، وتفقهوا في طريقه، وكثر طلبته وأتباعه لتعلم تلك الطرق في الذب عن السنة، وبسط الحجج والأدلة في نصرة الملة فسموا باسمه وتلاههم أتباعهم وطلبته، فعرفوا بذلك وإنما كانوا يعرفون قبل ذلك بالمشبهة، سمى عرفتهم بما المعتزلة، إذ أثبتوا من السنة والشرع ما نفوه... فكذلك أبو الحسن، فأهل السنة من المشرق والمغرب بحججه يمتحنون، وعلى منهاجه يذهبون، وقد أثنى عليه غير واحد منهم، وأثنوا على مذهبه وطريقه."⁷

النظر وأحكامه:

تعريف النظر:

النظر لغة: الفكر في الشيء تقديره وتقيسه⁸.

قال الجوهري⁹: "النظر تأمل الشيء بالعين"¹⁰.

وقال صاحب تاج العروس: "نظره: كنصره وسمعه ونظر إليه نظراً: تأمله بعينه"¹¹.

والنظر: تقلب البصيرة لإدراك الشيء ورؤيته. وقد يراد به التأمل والفحص. وقد يراد به المعرفة الحاصلة بعد الفحص

وإذا قلت نظرت في الأمر احتمل ان يكون تفكراً وتدبراً بالقلب¹²؛ واحتمل أن يكون رؤية بالعين.

النظر اصطلاحاً:

عرفه الإمام الباقلاني بأنه: الاستدلال الذي لا يحصل الا عن استئناف الذكر، والنظر والتفكير بالنظر والعقل¹³.

⁶- ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك للقاضي عياض تحقيق: محمد بن تاويت د. محمد بن شريف وآخرون الناشر: وزارة الأوقاف المغربية، الرباط المغرب، د، ت.

⁷- ترتيب المدارك للقاضي عياض، ج5 ص: 25.

⁸- ينظر لسان العرب 217/5.

⁹- هو: إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، أبو نصر، وهو من فرياب - أحد بلاد الترك -، كان من أعاجيب الزمان ذكاء وفطنة وعلماً، وهو إمام في علم اللغة والأدب، وخطه يضرب به المثل في الجودة، كان يؤثر السفر على الحضر، ويطوف الآفاق، له مصنفات عديدة، مات في جمادى الأولى سنة 453هـ. انظر: معجم الأدياء (656/2)، وبغية الوعاة للسيوطي (446/1).

¹⁰- ينظر تاج اللغة وصحاح العربية 830/2.

¹¹- ينظر تاج العروس 573/3.

¹²- ينظر المصدر نفسه 573/3.

¹³- ينظر الإنصاف ص: 14-15.

ونستشف ان النظر عند الامام الباقراني هو الاستدلال أي نظر القلب المطلوب به علم ما غاب عن الضرورة والحس وان الدليل: هو ما أمكن أن يتوصل بصحيح النظر فيه الى معرفة ما لا يعلم باضطراره...¹⁴ وقال الباقراني: "وأما الاستدلال والنظر فهو تقسيم المستدل وفكره في المستدل عليه وتأمله له، المطلوب به علم حقائق الأمور"¹⁵

وعرفه امام الحرمين قائلًا: "النظر في الاصطلاح الموحدين هو الفكر الذي يطلب به من قام به علما أو غلبة ظن..."¹⁶

وقال: والنظر الصحيح هو الفكر المنوط بطلب وجه الدليل على وجه يوصل إليه..."¹⁷

وعرف الإمام الإيجي¹⁸ قائلًا: "هو ملاحظة العقل ما هو حاصل عنده لتحصيل غيره..."¹⁹

ونستخلص مما سلف أن المدرسة الأشعرية عرفت النظر بأنه الاستدلال وهو نظر القلب الذي يطلب به علم ما غاب عن الضرورة والحس. وأن الدليل هو الذي يتوصل به الى العلم النظري الذي لا يعلم بالضرورة.

ومنهم من عرفه بأنه الفكر الذي يحصل به معرفة علم أو غلبة ظن وهو التوصل بما يحصل عند العقل لتحصيل غيره.

وعليه ذهب الأشاعرة إلى أنه يجب على كل مكلف أن ينظر في الوجود قصد الاستدلال به على الخالق سبحانه وتعالى.

فما حكم النظر عند المدرسة الأشعرية؟

مذهب الإمام الأشعري والسادة الأشعرية في مسألة النظر

اختلف أعلام المدرسة الأشعرية في حكم النظر على ثلاثة أقوال:

- القول الأول: الوجوب.

- القول الثاني: القول بعدم الوجوب.

- القول الثالث: التفصيل.

1- الذين قالوا بوجوب النظر:

ذهب الإمام الباقراني إلى أن أول ما فرض الله على جميع المكلفين النظر؛ لأنه سبحانه لا يعرف بالفطرة ولا بالحس والمشاهدة فقال رحمه الله تعالى: "أن أول ما فرض الله عز وجل على جميع العباد. النظر في آياته، والاعتبار بمقدوراته، والاستدلال عليه بآثار قدرته، وشواهد ربوبيته؛ لأنه سبحانه غير معلوم باضطرار، ولا مشاهد بالحواس، وإنما يعلم وجوده وكونه على ما تقتضيه أفعاله بالأدلة القاهرة، والبراهين الباهرة."²⁰

وذهب الإمام الباقراني الى ابعاد من هذا؛ حيث أكد انه يجب على المكلف ان يعرف المبادئ والمقدمات، التي يتوقف الدليل عليها، ولا يتم النظر الا بعد معرفتها، وفي هذا المقام يقول رحمه الله: "أن الواجب على المكلف أن يعرف بدء الأوائل والمقدمات التي لا يتم له النظر في معرفة الله عز وجل وحقيقة توحيده، وما هو عليه من صفاته التي بان بها عن خلقه، وما لأجل حصوله عليها استحق أن يعبد بالطاعة دون عباده. فأول ذلك القول في العلم وأحكامه ومراتبه"²¹.

¹⁴- ينظر الإنصاف ص: 15.

¹⁵- ينظر التمهيد ص: 14.

¹⁶- ينظر الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد ص: 3.

¹⁷- ينظر الشامل في أصول الدين ص: 97.

¹⁸- الإيجي عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الغفار، عضد الدين الإيجي الشيرازي، وإيج من نواحي شيراز، من أبرز تلامذته سعد الدين التفتازاني، ومن أشهر مصنفاته كتاب: (المواقف في علم الكلام)، مات مسجوناً قرب إيج سنة 756 هـ. انظر: طبقات الشافعية الكبرى للسبكي: 46/10، الدرر الكامنة: 110/3، الأعلام: 295/3.

¹⁹- ينظر المواقف - النسخة المجردة - ص: 22.

²⁰- ينظر الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به ص: 22.

²¹- ينظر المصدر نفسه ص: 22.

ولعل هذا النص ونحوه²² هو الذي جعل بعض المؤرخين للمذاهب ينسب اليه القول بمبدأ له خطره، وهو أن: " بطلان الدليل يؤذن ببطلان المدلول".²³ وذهب الإمام ابن فورك رحمه الله إلى القول بوجود النظر²⁴ وكذلك أكد الأستاذ أبو إسحاق الاسفرايني أن النظر واجب؛ لكونه مقدمة مقدورة للمعرفة الواجبة مطلقاً، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب²⁵.

وجعل عبد القاهر البغدادي²⁶ النظر العقلي شرطاً في صحة إيمان العبد؛ ولهذا قال: "من شرط صحة الإيمان عندنا تقدم المعرفة بالأصول العقلية في التوحيد والحكمة والعدل وثبوت النبوة والرسالة واعتقاد شريعة الاسلام ومن شرطه معرفة صحة ذلك كله بأدلتها المشهورة؛ وإن لم يعلم دليل فروعها؛ صح إيمانه..."²⁷.

ويؤكد الإمام البغدادي ما ذكره متقدمو أعلام المدرسة الأشعرية قائلاً: " وإنما أضيفت العلوم الشرعية إلى النظر؛ لأن صحة الشريعة مبنية على صحة النبوة، وصحة النبوة معلومة من طريق النظر والاستدلال ولو كانت معلومة بالضرورة من حس أو بديهية؛ لما اختلف فيها أهل الحس والبديهية ولما صار المخالف فيها معانداً كالسوفسطائية المنكرة للمحسوسات..."²⁸.

وقال إمام الحرمين الجويني: "النظر والاستدلال المؤديان إلى معرفة الله سبحانه واجبان..."²⁹.

بل حكى أهل الكلام الإجماع على وجوب النظر لمعرفة الله تعالى؛ لأنها لا تأتي إلا بذلك، وعلى هذا فأول ما يبدأ به المكلف بعد بلوغه هو البحث والنظر في الأدلة، وإقامة البراهين والدلائل على وجود الله؛ لكي يكون إيمانه بالله قائماً على يقين واعتقاد جازم.

وهذا الرأي عند أهل الكلام هو رأي قديم بالنسبة لهم، وقد يكون ظهوره مع بدايات ظهور علم الكلام، لكن القول بأن هذا الرأي يجمع عليه عند المسلمين، قد يكون متأخراً عن ذلك، ولعل أقدم من نقل الإجماع على ذلك -حسب تتبعي- هو الجويني، ثم تابعه من جاء بعده من أهل الكلام.

يقول الجويني مقررًا ذلك: (فإن قال قائل: ما الدليل على وجوب النظر من جهة الشرع؟ قلنا: الدليل عليه إجماع المسلمين)³⁰.

ويقول الإيجي: (النظر في معرفة الله تعالى واجب إجماعاً)³¹.

ويقول التفتازاني: (لا خلاف بين أهل الإسلام في وجوب النظر في معرفة الله تعالى)³².

22- ينظر التمهيد ص: 11-12.

23- ينظر المقدمة لابن خلدون ص: 519.

24- ينظر الشامل في أصول الدين ص: 121.

25- ينظر شرح المقاصد، تحقيق د: عبد الرحمن عميرة 271/1 و 262.

26- عبد القاهر البغدادي عبد القاهر بن طاهر بن محمد التميمي البغدادي، أبو منصور، من متكلمة الأشاعرة، له مؤلفات متنوعة، من أشهرها في الكلام: (أصول الدين)، و(الفرق بين الفرق)، توفي سنة: 429 هـ. انظر: وفيات الأعيان: 203/3، الوافي بالوفيات: 31/19، سير أعلام النبلاء: 572/17.

27- ينظر أصول الدين ص: 269.

28- ينظر المصدر نفسه ص: 14-15.

29- ينظر الشامل في أصول الدين ص: 115.

30- ينظر الشامل ص: 119-120، والإرشاد: 31.

31- ينظر المواقف: 28.

32- ينظر شرح المقاصد 262/1.

ومن الذين حكوا الإجماع على ذلك: أبو سعيد النيسابوري، وابن الزاغوني، والآمدني³³، وذكر أنه هو المعتمد عند الأصحاب، والياضي، والجرجاني، ... والظواهري، وغيرهم³⁴.

ونستشف من خلال النصوص السالفة ان مذهب جمهور الأشعرية ان النظر في الدليل الموصل الى معرفة الله واجب³⁵.

في حين ذهب أعلام المدرسة الأشعرية من المتأخرين إلى القول بوجوبه قال في السنوسية: "...والى وجوب المعرفة، وعدم الاكتفاء بالتقليد ذهب جمهور أهل العلم... وذهب غير الجمهور إلى أن النظر ليس بشرط في صحة الإيمان؛ بل وليس بواجب أصلاً؛ وإنما هو من شروط الكمال فقط... والحق الذي يدل عليه الكتاب والسنة: وجوب النظر الصحيح مع التردد في كونه شرطاً في صحة الإيمان أولاً، والراجع انه شرك في صحته...³⁶.

وقال في الحاشية على أم البراهين: "...والراجع أنه شرط يعني: في صحة الإيمان بمعنى: أنه لا يوجد الإيمان ولا يتحقق إلا إذا نشأ عن النظر؛ وأما إذا نشأ عن تقليد فلا يحصل الإيمان، ويحصل الخلود في النار..."³⁷.

إلا أنه عاد فقال: "...وقد علمت سابقاً أن هذا خلاف الراجع".

وأن الراجع: أن النظر واجب وجوب الفروع في حق من فيه أهلية للنظر، وحينئذ فالمقلد الذي فيه أهلية النظر مؤمن عاص فقط، وإيمانه منج له من الخلود في النار.

وأما إن كان ليس فيه أهلية النظر فهو مؤمن غير عاص...³⁸.

وقال الباجوري³⁹: "...يجب على كل مكلف من ذكر أو أنثى وجوباً عينياً معرفة كل عقيدة بدليل ولو إجمالاً وأما معرفتها بالدليل التفصيلي ففرض كفاية...".

40.

وقال: "وبعضهم أوجب الدليل التفصيلي وجوباً عينياً..."⁴¹.

2- الذين قالوا بعدم وجوب النظر.

ذهب الشهرستاني إلى معرفة الله ضرورية فطرية لا تحتاج إلى نظر واستدلال: فلم يدع إيجاب النظر كما فعال الأشاعرة، ويرى ان الشرع لم يوجب النظر على المكلفين؛ لأن: "الفطرة السليمة الإنسانية شهدت بضرورة فطرتها وبديهة فكرتها على صانع حكيم عالم قدير {أَيُّ اللَّهِ شَكُّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} 42 وإن هم

33- الأمدني علي بن أبي علي بن محمد بن سالم التغلبي الأمدي الحنبلي ثم الشافعي، أبو الحسن، من كبار متكلمي الأشاعرة، ومن المكثرين في التصنيف في فنون عدة، من أشهر مؤلفاته في الكلام: (أبكار الأفكار)، و (غاية المرام)، توفي سنة: 631 هـ. انظر: وفيات الأعيان: 293/3، سير أعلام النبلاء: 364/22، طبقات الشافعية للسبكي: 306/8.

34- ينظر الغنية في أصول الدين ص: 55، والإيضاح: 179. والأبكار 156/1 ومرهم العلل ص: 47 وشرح المواقف 252/1. والتحقيق في علم الكلام: 34-35.

35- ينظر وليراجع معالم أصول الدين ص: 19-24. ومحصل أفكار المتقدمين والمتأخرين ص: 61-65. والمواقف ص: 28-29.

36- ينظر أم البراهين ص: 55-57.

37- ينظر حاشية الدسوقي على أم البراهين ص: 57.

38- ينظر المصدر نفسه ص: 58.

39- الباجوري إبراهيم بن محمد بن أحمد الباجوري، شيخ الأزهر، متكلم أشعري، له مؤلفات، من أشهرها: (تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد)، توفي سنة: 1277 هـ. انظر: هدية العارفين: 41/1. الأعلام: 71/1، معجم المؤلفين: 84/1.

40- ينظر تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد ص: 21.

41- ينظر المصدر نفسه ص: 21.

42- سورة إبراهيم الآية: 10.

غفلوا عن هذه الفطرة في حال السراء فلا شك أنهم يلوذون إليه في حال الضراء { دَعَاُ اللهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ }⁴³ { وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَهًا }⁴⁴ ولهذا لم يرد التكليف بمعرفة وجود الصانع وإنما ورد بمعرفة التوحيد ونفي الشريك⁴⁵.

وممن أعرض عن إيجاب النظر من الأشعرية الإمام أبو جعفر السمناني وقد تمسك بقوله تعالى: { فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ }⁴⁶ وحديث: "كل مولود يولد على الفطرة"⁴⁷.

فإن ظاهر الآية والحديث يدل على معرفة الله تحصل للعبد بأصل الفطرة، فلا يحتاج سليم الفطرة الى النظر والاستدلال والتفكير وأما الخروج والانحراف عن هذه الفطرة فهو : أمر يطرأ على الفطرة وانحراف يحصل للشخص بسبب أمر طارئ لقوله صلى الله عليه وسلم: " فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه ، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء"⁴⁸

ويرى أبو جعفر السمناني أن إيجاب اعلام المدرسة الأشعرية للنظر على كل احد بقية بقيت في المذهب الأشعري بتأثير الاعتزال، وقد صرح عن هذا المعنى قائلا: "...إن هذه المسألة بقية في مقالة الأشعري من مسائل المعتزلة..."⁴⁹.

3- الذين ذهبوا إلى التفصيل في مسألة إيجاب النظر:

ذهب الإمام الأمدي إلى وجوب النظر إلا انه لم يوجبه على كل مكلف، بل فصل في المسألة؛ حيث يرى ان النظر واجب؛ ولكن ليس هو الطريق الوحيد لمعرفة الله تعالى؛ بل هناك طرق أخرى لتحصيل معرفة الله، ثم من عرف الله بغير النظر، فالنظر في حقه غير واجب. وقد وضع مذهبه في إيجاب النظر قائلا: "...أجمعت الأمة على وجوب معرفة الله تعالى ومعرفة الله لا تتم الا بالنظر، اذ هي وأمر غير بديهي، وما لا يتم الواجب الا به فهو واجب..."⁵⁰.

وأكد هذا المعنى قائلا: "...إن النظر واجب... ودليل وجوبه: أنه لما أنزل قوله تعالى: { إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْخِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ }⁵¹ قال عليه السلام: "وبل لمن لآكها بين لحييه ولم يتفكر فيها"⁵² يوعده على ترك النظر والتفكير فيها فدل على وجوبه..."⁵³. ويقول أيضا: "...أجمع أكابر أصحابنا والمعتزلة وكثير من أهل الحق من المسلمين على أن النظر المؤدي إلى معرفة الله واجب؛ غير أن مدرك (أي طريق إدراك) وجوب عندنا - أي المدرسة الأشعرية - الشرع خلافا للمعتزلة في قولهم: إن مدرك وجوبه العقل دون الشرع..."⁵⁴.

43- سورة يونس الآية: 22.

44- سورة الإسراء الآية : 67.

45- ينظر نهاية الإقدام في علم الكلام ص: 124.

46- سورة الروم الآية : 30.

47- ينظر صحيح البخاري كتاب التفسير باب لا تبديل لخلق الله .

48- ينظر صحيح البخاري كتاب الجنائز باب ما قيل في أولاد المشركين .

49- ينظر فتح الباري شرح صحيح البخاري 349/13.

50- ينظر أبحاث الأفكار، ميكرو فيلم بمركز البحث العلمي وإحياء التراث بجامعة أم القرى مصور عن مكتبة أيا صوفيا بتركيا برقم 2165 توحيد 125/1ب.

51- [آل عمران: 190، 191] .وقد ذكر المؤلف جزء من الآية وأتممتها لتوضيح المعنى .

52- رواه عبد بن حميد في تفسيره والطبراني وابن أبي حاتم وابن حبان في صحيحه ورواه عبد الله بن محمد ابن أبي الدنيا في كتاب التفكير والاعتبار. ينظر تفسير القرآن العظيم 440/1-441.

53- ينظر الإحكام في أصول الأحكام 229/4.

54- ينظر أبحاث الأفكار، ميكرو فيلم بمركز البحث العلمي وإحياء التراث بجامعة أم القرى مصور عن مكتبة أيا صوفيا بتركيا برقم 2167 ورقمه بالمركز 601.

وبعد أن وضع الآمدي مذهبه في النظر عموماً، شرع يفصل في المسألة: حيث نجده أكثر دقة، وأقل تشدداً من المتكلمين الذين ذهبوا إلى من لم يعرف الله بالطرق التي وضعوها فهو مقلد والمقلد مختلف في إيمانه عندهم⁵⁵.

وقد وضع هذا المعنى قائلاً: "... ولكن لا نسلم أنه لا طريق إلى معرفة الله تعالى إلا النظر والاستدلال؛ بل إن أمكن حصولها بطريق آخر:

- إما بأن يخلق الله تعالى العلم للمكلف بذلك من غير واسطة.
- وإما بأن يخبره من لا شك في صدقه، كالمؤيد بالمعجزات القاطعة.
- وإما بطريق السلوك والرياضة وتصفية النفس وتكميل جوهرها حتى تصير متصلة بالعالم العلوية عالمة بما مطلعة على ما ظهر وبطن من غير احتياج إلى دليل ولا تعلم ولا تعليم... "56.

ويخالف الإمام الآمدي جمهور المتكلمين الذين ذهبوا إلى أن النظر واجب على كل مكلف بعينه؛ وإنما يوجب النظر في حق من لم يعرف الله إلا عن طريقه فهذا محتاج إلى النظر وأما من عرف الله بأي طريق آخر فالنظر في حقه لا يجب وقد وضع هذا المعنى قائلاً: "... نحن إنما نقول بوجود النظر في حق من لم يحصل له العلم بالله تعالى بغير النظر، فالنظر في حقه غير واجب... "57.

وإذا رجعنا إلى متأخري الأشعرية، نجد في السنوسية ثلاثة أقوال:

- الأول: إن المعرفة في العقائد واجبة على كل أحد وجوب الفروع سواء كان فيه أهلية للنظر أم لا، فإن قلد فيها كان مؤمناً عاصياً.
- الثاني: إن المعرفة في العقائد واجبة وجوب الفروع: إن كان فيه أهلية للنظر؛ وإلا فلا تجب؛ وعلى هذا فالمقلد:
- إن كان فيه أهلية للنظر يكون مؤمناً عاصياً.
- وإن لم يكن فيه أهلية للنظر كان مؤمناً غير عاص، فالنظر شرط كمال في صحة الإيمان.
- الثالث: إن المعرفة في العقائد واجبة، وجوب الأصول، وحينئذ فالمقلد كافر، لأنه متى قيل هذا الشيء واجب وجوب الأصول فمعناه أن من ترك ذلك يكون كافراً. وهذا القول مبني على أن النظر شرط في الإيمان ولا يتحقق إلا إذا نشأ عن نظر واستدلال.
- وأما إذا نشأ عن تقليد فلا يحصل الإيمان ويحصل الخلود في النار.
- ولكنه رجح القول بخلافه⁵⁸.
- ولنتساءل ما هو الطريق الذي سلكه أعلام المدرسة الأشعرية في وجوب النظر؟
- استدل أعلام المدرسة الأشعرية على إيجاب النظر على كل أحد بمسلكين:
- أحدهما نقلي.
- والآخر عقلي.
- ✓ أما المسلك النقلي فيتمثل في أمرين:

❖ الأول: نصوص الكتاب والسنة التي دعت إلى التفكير والتدبر في آيات الله ومخلوقاته التي بثها في الآفاق وفي الأنفس⁵⁹؛ نحو قوله تعالى:

● ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾⁶⁰.

55- سيأتي بحث مسألة التقليد في التوحيد عند السادة الأشعرية.

56- ينظر أبحاث الأفكار: 99/1 وينظر درء التعارض 356/7.

57- ينظر أبحاث الأفكار مخطوط نسخة رقم 1954 ونسخة رقم 1603 وقد تمت مقابلة النص على النسختين وينظر درء التعارض 356/7-357. تحقيق محمد رشاد سالم.

58- ينظر أم البراهين ص: 45-57.

59- ينظر الانصاف ص: 29. والمواقف ص: 28-29. ومحصل أفكار المتقدمين والمتأخرين ص: 64. وشرح المقاصد ص: 268 تحقيق عبد الرحمن عميرة

60- سورة الغاشية الآية 17.

- وقال تعالى { قُلْ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ }⁶¹.
- وقال تعالى { فَانظُرْ إِلَىٰ آثَرِ رَحْمَةِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ }⁶² والأمر للوجوب "63".
- ❖ الثاني: الإجماع.
- قال إمام الحرمين: فإن قال قائل: فما الدليل على وجوب النظر من جهة الشرع؟
- قلنا: الدليل عليه إجماع المسلمين على وجوب معرفة الله تعالى مع اتفاقهم على أنها من أعظم القرب وأعلى موجبات الثواب... "64".
- وقد ذهب جمهور الأشاعرة إلى أن طريق وجوب النظر هو الشرع.
- قال الباقلاني: "وإذا صح وجوب النظر، فالواجب على المكلف النظر والتفكير في مخلوقات الله لا في ذات الله والدليل عليه قوله تعالى: { وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ }⁶⁵... وأيضاً قوله تعالى: { أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَىٰ الْإِبِلِ كَيْفَ خَلَقْتُمْ }⁶⁶.
- وقد وضح طرق الأدلة: "... التي يدرك بها الحق والباطل خمسة أوجه:
- 1- كتاب الله. 2- سنة رسوله صلى الله عليه وسلم. 3- إجماع الأمة. 4- ما استخرج من هذه النصوص وبني عليها بطريق القياس والاجتهاد. 5- حجج العقول.
- قال تعالى: { أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا }⁶⁷... وقال عز وجل في الأمر باتباع حجة العقل: { وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ }⁶⁸ وقال تعالى: { أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ . أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْمَخْلُوقُونَ }⁶⁹ وقال: { إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالاختلاف اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِأُولِي الْأَبْصَارِ }⁷⁰. وقال تعالى: { وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ }⁷¹. { وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ }⁷².
- فأمرنا بالاعتبار والاستبصار ورد الشيء إلى مثله أو الحكم له بحسب نظيره وهذا هو الحكم المعقول والتفاضي إلى أدلة العقول... "73".
- ويوضح البغدادي وجهة نظر المدرسة الأشعرية في الوقت الذي يجب فيه النظر وطريق وجوبه قائلاً: "... وقت صحة الإيمان والمعرفة وقت كمال العقل ووقت وجوبهما عند اجتماع العقل والبلوغ ولا وجوب إلا من جهة الشرع... "74".

61- [يونس: 101]

62- [الروم: 50]

63- ينظر الموافق ص: 29.

64- ينظر الشامل في أصول الدين ص: 119-120.

65- سورة ال عمران الآية: 191.

66- سورة الغاشية الآية 17.

67- [محمد: 24]

68- سورة الذاريات الآية 24.

69- سورة الواقعة الآية: 58-59.

70- سورة آل عمران الآية: 190.

71- سورة يس الآية: 78.

72- سورة الروم: الآية: 27.

73- سورة الروم: الآية: 27.

74- ينظر الإنصاف ص: 21.

ويؤكد إمام الحرمين أن الوجوب لا يعرف إلا عن طريق الشرع، ولهذا قال: "...والذي اتفق عليه أهل الحق: أنه لا يدرك وجوب واجب في حكم التكليف عقلا ومدارك موجبات التكليف الشرائع ولا تتوصل بقضية العقل قبل استقرار الشريعة إلى درك واجب ولا حظر ولا مباح ولا ندب...⁷⁵"

ويذهب الإمام الرازي في نفس الاتجاه مؤكداً أن النظر واجب بالشرع ويرد على بعض الأشاعرة الذين ذهبوا إلى أنه واجب بالعقل؛ قائلاً: "...وجوب النظر سمعي خلافاً للمعتزلة، وبعض الفقهاء من الشافعية والحنفية"⁷⁶.

وقد استدلت على ذلك بقوله تعالى: { وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا }⁷⁷؛ ولأن فائدة الوجوب: الثواب والعقاب، ولا يقبح من الله تعالى شيء من أفعاله، فلا يمكن القطع بالثواب والعقاب من جهة العقل فلا يمكن القطع بالوجوب...⁷⁸

ونستخلص مما سلف أن جمهور الأشاعرة قد ذهبوا إلى أن النظر واجب بالشرع.

✓ وأما المسلك الثاني فهو عقلي:

وهذا المسلك هو المعتمد عند أعلام المدرسة الأشعرية حيث قالوا: إن معرفة الله تعالى واجبة إجماعاً وهي لا تتم إلا بالنظر وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب والنظر أمر مقدور يتوقف عليه الواجب المطلق الذي هو المعرفة وكل مقدور يتوقف عليه الواجب المطلق فهو واجب⁷⁹

قال إمام الحرمين: "... فإذا ثبت الإجماع فيما قلناه وثبت بدلالات العقول ان العلوم المكتسبة يتوقف حصولها على النظر الصحيح وما ثبت وجوبه قطعاً؛ فمن ضرورة ثبوت وجوبه وجوب ما لا يتوصل إليه إلا به والذي يوضح ذلك: أنه ثبت في الشرع افتقار صحة الصلاة إلى الطهارة ثم ورد بعد ذلك أمر بالصلاة صحيحة، فالأمر بما يتضمن الأمر بالطهارة..."⁸⁰.

ويعتمد الإمام الجويني في إيجاب النظر على الدليل العقلي والإجماع في حين يضعف الاستدلال بنصوص الكتاب والسنة إذ يقدم العقل على النقل وذهب إلى ان النصوص الشرعية ظواهر يتطرق إليها التأويل لا تفيد القطع واليقين⁸¹.

وقد وافقه الإمام الأبيجي الذي يرى أن النصوص الشرعية لا تخرج عن كونها ظنية⁸².

وقال إمام الحرمين: "... وإنما لم نعتصم في إثبات وجوب النظر بظواهر الكتاب والسنة؛ لأن المقصد اثبات علم مقطوع به. والظواهر التي هي عرضة التأويلات لا يسوغ الاستدلال بها في القطعيات، ولكن لو استدلتل بها، وقرنت استدلالك بما يجمع الأمة على أنها غير مؤولة؛ بل هي محمولة على ظواهرها، فيحسن الاستدلال على هذا الوجه بظواهر الكتاب..."⁸³.

وذهب نفر من أعلام المدرسة الأشعرية إلى أن النظر واجب بالعقل تأثراً بالمعتزلة.

قال الإمام البغدادي: "وقال أبو العباس القلانسي ومن تبعه من أصحابنا بوجوب المعارف العقلية على العاقل من جهة العقل..."⁸⁴

وإن الناظر للإجماع الذي حكاه أهل الكلام يجد أنهم لا يذكرون له مستندا، ويكتفون بنقل الإجماع، ويرون أنه هو المعتمد في هذه المسألة⁸⁵، لكن من تكلم على المسألة من غيرهم، يورد أدلة تصلح أن تكون مستندا لهذا الإجماع، ومن هذه الأدلة:

⁷⁵ - ينظر أصول الدين ص: 256-257 وينظر ص: 212.

⁷⁶ - ينظر محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين ص: 64.

⁷⁷ - [الإسراء: 15]

⁷⁸ - ينظر محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين ص: 64.

⁷⁹ - ينظر الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد ص: 11.

⁸⁰ - ينظر الشامل في أصول الدين ص: 120.

⁸¹ - ينظر المواقف ص: 29.

⁸² - ينظر المواقف ص: 29.

⁸³ - ينظر الشامل في أصول الدين ص: 120.

⁸⁴ - ينظر أصول الدين ص: 256.

⁸⁵ - ينظر الشامل ص: 120. والمواقف ص: 28-29.

1- الآيات الكثيرة التي جاءت بالحث على التفكير والنظر في الكون، وما فيه من مخلوقات:

مثل قوله تعالى: {أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ} 86
وقوله تعالى: {أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ حِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ افْتَرَبَ أَجْلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ} 87

وقوله تعالى: {فَانظُرْ إِلَى آثَرِ رَحْمَةِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْسَبٍ الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} 88

قال تعالى: {قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} 89

قالوا: الأمر في هذه الآيات للوجوب 90 .

2- جاء في أحد روايات حديث معاذ 91 رضي الله عنه حين بعثه الرسول صلى الله عليه وسلم إلى اليمن، أنه قال له: " فإذا عرفوا الله 92 فقالوا: هذا دليل

على وجوب المعرفة التي لا تتأتى إلا بالنظر 93 .

المناقشة:

هذا الإجماع الذي حكاه أهل الكلام، إجماع مدعى لا حقيقة له عند النظر والتدقيق، ويتبين ذلك في أمور عدة:

الأمر الأول: أن هذا الإجماع الذي حكاه أهل الكلام قوامه على أن معرفة الله نظرية لا يمكن الوصول إليها إلا بالنظر العقلي، وهذا الأمر الذي قرره محل نظر، بل الصحيح أن معرفة الله تعالى والإقرار بوجوده - في الأصل - من الأمور الضرورية التي غرسها الله تعالى في فطر الناس وشهدت بما عقولهم، ولا يحتاج الإنسان التي سلمت فطرته من العوارض والآفات لمعرفة الله ، إلى نظر أو استدلال ، وقد دلت على ذلك النصوص الشرعية من الكتاب والسنة ، وجاء تأكيدها من كلام السلف الصالح أصحاب القرون المفضلة :

فأما النصوص، فمنها على سبيل المثال: قول الحق تبارك وتعالى:

عن ابن زيد ومجاهد: أنهما قالوا عن قوله: {فِطْرَتَ اللَّهِ} 94: الإسلام 95.

86- سورة الروم الآية: 8.

87- سورة الأعراف: 184-185.

88- سورة الروم: 50.

89- سورة يونس الآية: 101.

90- ينظر المواقف ص: 29.

91- معاذ رضي الله معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس الأنصاري الخزرجي، أبو عبد الرحمن، مشهور من أعيان الصحابة، شهد بدرًا وما بعدها، وكان إليه المنتهى في العلم بالأحكام والقرآن، مات بالشام سنة ثمان عشرة، روى له الستة. انظر: التقريب 535 رقم (6725)، الإصابة 6/136 رقم (8043)، تذكرة الحفاظ 19/1 رقم (8).

92- أخرجه البخاري في كتاب الزكاة باب لا تؤخذ كرائم أموال الناس في الصدقة. ح 1389. ومسلم في كتاب: الإيمان باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام

ح 19

93- ينظر فتح الباري 13/349.

94- سورة الروم الآية : 30 .

95- ينظر تفسير الطبري 20/97.

ومنها: قول الرسول صلى الله عليه وسلم كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه: " ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودان، أو ينصرانه، أو يمجسانه ⁹⁶ . والفطرة الواردة في الحديث، هي الفطرة الواردة في الآية ⁹⁷ .

والحاصل أن المدرسة الأشعرية ذهبت إلى أن وجوب النظر والاستدلال والتفكير طريقه الشرع وحده، لأنهم أنكروا التحسين والتقبيح العقليين وقالوا: بأن الحسن ما حسنه الشرع والتقبيح ما قبحه الشرع.

وكما مر معنا سابقا فييجاب النظر اعتمد على الدليل النقلى والعقلى إلا أن الدليل النقلى جاء ضعيفا إذ يعد عند المدرسة الأشعرية من الأدلة الظنية غير القطعية، وأنها ظواهر يتطرق إليها التأويل ويمكن القدح فيها بقوادح مختلفة، إذا فالمعتمد عندهم هو الدليل العقلى في إيجاب النظر على كل أحد وإجماع الأمة على أن معرفة الله واجبة ولا تحصل إلا بالنظر فهو مقدمة لها وما لا يتم الواجب المطلق إلا به فهو واجب. ويؤكد الجوينى هذا المعنى بقوله: "... وذهب المحققون إلى أن أول واجب عليه: النظر والاستدلال المؤديان إلى معرفة الصانع..." ⁹⁸

وذلك لأن النظر يقع قبل المعرفة، وهو واجب اتفاقا، فأنى يستقيم مع ذلك المصير إلى أن أول الواجبات، المعرفة مع الاعتراف بأن قبلها واجبا.

ومن قال بأن أول واجب هو المعرفة اعتذر بإنكار وجوب النظر قبل المعرفة؛ ولكن المقصود من النظر هو المعرفة الله فعبير عن المقصود، "... وهذا كما أن القائل يصف الصلاة بالوجوب في مفتتح الوقت في حق المحدث، وإن كان المحدث لا يتوصل إلى إقامة الصلاة إلا بعد الوضوء.

والذي يوضح ذلك: أن الصائرين إلى أن أول واجب هو النظر المؤدي إلى العلم بالله، متجاوزون؛ إذ النظر في العلم بالله، يبنى على ضروب من النظر..." ⁹⁹ .

هذا، وقد اختار إمام الحرمين الجوينى في كتابه الإرشاد القول بأن أول واجب هو: القصد إلى النظر؛ ولهذا قال: "... أول ما يجب على العاقل البالغ، باستكمال سن البلوغ أو الحلم شرعا، القصد إلى النظر الصحيح المفضي إلى العلم بمحدث العالم..." ¹⁰⁰ .

ومع ذلك كله، فقد انتهى بعض الأشعرية إلى القول: بأن الخلاف هنا لفظي، كإمام الحرمين، والرازي، وسعد الدين التفتازانى ¹⁰¹.

يقول إمام الحرمين: "... فاعلموا أن الكلام في هذا الفصل يؤول إلى العبارات، وفيها التنازع..." ¹⁰²

⁹⁶ - أخرجه البخاري في كتاب التفسير باب { لا تَبْدِيلَ لِحَلْقِ اللَّهِ } لدين الله. خلق الأولين دين الأولين والفطرة : الإسلام ح 4497. ومسلم في كتاب القدر باب معنى كل مولود يولد على الفطرة وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين ح 2658.

⁹⁷ - ينظر درء التعارض 372/8.

⁹⁸ - ينظر الشامل في أصول الدين ص: 120.

⁹⁹ - ينظر المصدر نفسه ص 120-121.

¹⁰⁰ - ينظر الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد ص: 3.

¹⁰¹ - سعد الدين التفتازانى مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازانى، ولد سنة 712 هـ، من أشهر كتبه في الكلام: (شرح العقائد النسفية) و(شرح المقاصد)، توفي سنة

792 هـ. انظر: الدرر الكامنة: 112/6، الأعلام: 219/7.

¹⁰² - ينظر الشامل في أصول الدين ص: 122.

والمعرفة عندهم يقصد بها: الجزم المطابق في عقائد الإيمان بدليل أو برهان¹⁰³. والنظر عندهم هو: الطريق الموصل إلى المعرفة أو الفكر الذي يطلب به علم أو غلبة ظن¹⁰⁴، والقصد إلى النظر: تفرغ القلب عن الشواغل¹⁰⁵.

وقد جعل الفخر الرازي محررا هذا الخلاف من أقوال الأشعرية في هذا المسألة معتقدا أنه خلاف لفظي وجمع بين هذه الأقوال فذكر قائلا: "... منهم من قال: هو: المعرفة، ومنهم من قال: هو النظر المفيد للمعرفة، ومنهم من قال: هو القصد إلى هذا النظر، وهذا خلاف لفظي؛ لأنه إن كان المراد منه أول الواجبات المقصود بالقصد الأول، فلا شك أنه هو المعرفة عند من يجعلها مقدورة، والنظر عند من لا يجعل العلم مقدورا، وإن كان المراد أول الواجبات كيف كانت، فلا شك أنه القصد..."¹⁰⁶.

وقال سعد الدين التفتازاني: "... والحق أنه إن أريد أول الواجبات المقصودة بالذات فهو المعرفة، وإن أريد الأعم فهو القصد إلى النظر..."¹⁰⁷ لكن مما يحسن التذكير به: أن لا يفهم مما سبق، أنه لا يجوز النظر والاستدلال لمعرفة الله مطلقا، وإنما كلامي في إيجابه على كل أحد، وإلا فلا مانع من النظر للتفكير والاعتبار، ولزيادة الإيمان واليقين، وكذلك في حال من فسدت فطرته، فاحتاج إلى ذلك، وأما إيجابه على جميع المكلفين فهذا هو المقصود بالكلام هنا والله أعلم.

المطلب الثالث: مناهج وآليات البحث في المعرفة العقديّة ومقاصد الخطاب عند أشاعرة المغرب:

قرر بعض الباحثين أن منهج الاستدلال العقدي عند أشاعرة المغرب على التحقيق هو منهج الجويني في "كتاب الإرشاد"، وأنه منهج تأويلي ذي التوجه السني الذي لا يثبت الصفات الإلهية على ظاهرها حتى لا يفيد التشبيه والتجسيم، فلا يكفر أهل القبلة من المسلمين، ولا يدعو إلى سفك دمايهم، وذكرت مدى أهمية تبني هذا المنهج في المراكز والمؤسسات العلمية المغربية، بالأخص على عقيدة المغاربة ومستقبلهم الحضاري واستقرارهم وتحقيق أمنهم الروحي والديني؛ وهذا هو منهج أبي الحسن الأشعري في تقرير المعرفة العقديّة الإسلامية، وسأبرز هنا نماذج من كتابات العلماء الأشاعرة المغاربة ومنهجهم الاستدلالي العقدي ومناهج أو آليات بحثهم وكذا مقاصد الخطاب عندهم، وكيف تأثروا بمنهج "كتاب الإرشاد" للجويني، ومدى تأثيرهم أيضا في الفكر الأشعري المغربي من خلال مؤلفاتهم التي تركوها والتي وصلت إلينا، وقد اخترت أهم هؤلاء العلماء الأشاعرة الذين أثروا في الفكر الأشعري المغربي لأتحدث عن منهجهم الاستدلالي العقدي الأشعري، فلا ما لا يدرك كله لا يترك جله، ومن هؤلاء الرموز أذكر:

- أبو بكر المرادي الحضرمي:

هو أبو بكر المرادي الحضرمي (ت 489هـ/1094م)، ولد بالقيروان وارتحل إلى الأندلس ثم انتقل بعد ذلك إلى أغمات حيث ألحق بحاشية أمير المرابطين أبي بكر بن عمر اللمتوني التي كانت تضم فقهاء وعلماء، "وكان المرادي أول من أدخل علوم الاعتقادات بالمغرب الأقصى"¹⁰⁸ وله مؤلف مطبوع، يعتبر أول مؤلف كامل عن العقيدة الأشعرية ألف في عهد الأمير المرابطي أبي بكر بن عمر اللمتوني (ت 580هـ/1184م)¹⁰⁹، ومن خلاله نستطيع أن نتعرف على المنهج الأشعري الذي دخل المغرب الأقصى في هذه الفترة، يقول جمال البختي: "إن نص "عقيدة المرادي" سيفتح أمام المختصين بابا واسعا لمراجعة الكثير من الأحكام والمواقف في خصوص تاريخ دخول المذهب الأشعري إلى المغرب، وتتبع مسار تطوره، فالمعطيات والمضامين -فضلا عن المنهج المعتمد- في هذه الوثيقة تدفع دفعا نحو تأكيد حقيقة جديدة مفادها أن الاطلاع التام على المذهب، والتأليف فيه (على طريقة البغدادي والجويني ومن جاء بعدهما) لم يكن متأخرا -كما كان يُعتقد- بل كان في فترات متقدمة

¹⁰³ - ينظر الحقائق في تعريفات مصطلحات علماء الكلام ص: 6.

¹⁰⁴ - ينظر المواقف 1/116.

¹⁰⁵ - ينظر هداية المرید ل22ب .

¹⁰⁶ - ينظر محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين ص: 65.

¹⁰⁷ - ينظر شرح المقاصد -النسخة المحققة - 1/272.

¹⁰⁸ - التشوف إلى رجال التصوف، تحقيق أحمد التوفيق، ط: 2، س: 1997، ص: 106.

¹⁰⁹ - أحمد عبادي في تقديمه لكتاب عقيدة المرادي الحضرمي للبختي، دار الأمان للنشر والتوزيع، س ط: 1433هـ/2012م ص: 6.

ومتزامنة مع التطور الذي شهدته البحث العقدي في المشرق¹¹⁰ و” بالنظر إلى التطور الذي عرفه المذهب الأشعري مضمونا ومنهجيا يتبدى أن “عقيدة المرادي” توافق كثيرا المعطيات المتوفرة عن طبيعة القضايا وطريقة الاستدلال ومنهج البحث في الفكر الأشعري خلال النصف الثاني من القرن الرابع والنصف الأول من الخامس في الغرب الإسلامي وفي إفريقية والأندلس¹¹¹، وهذه هي الفترة التي ساد فيها منهج الجويني في المشرق والمغرب.

- المنهج التأويلي عند المرادي:

- (1) **نفي التشبيه:** نجد المرادي في الكتاب يؤول الصفات الإلهية التي يوحي ظاهرها بالتشبيه، ويروم إلى عقيدة التنزيه، يقول المرادي: “هو - سبحانه - لا يشبه خلقه؛ لأن المثلين ما ساد أحدهما مسدّد صاحبه، وناب منابته. فلو أشبهه لقامت صفات الحوادث به، ودلت على حدوثه. وقد قام الدليل على قدمه، قال تعالى: ((ليس كمثله شيء وهو السميع البصير))¹¹².”
- (2) **تنزيهه تعالى عن الجسمية:** يقول المرادي: “بعض الأئمة أثبت لله سبحانه صفات خمسا يقتضيها عندهم السمع، وهي: 1- الوجه 2-3- أيدان 4-5- والعينان

وقد نطق بأسمائها القرآن: فقال تعالى: ((تجري بأعيننا))، وقال: ((ولتضع على عيني))، ونحن نقول: المراد بذلك البصر الذي أثبت الله تعالى بقوله: ((وأن الله سميع بصير)) وكذلك إفراده في آية وجمعه في آية أخرى تعظيما له.

وأما قوله لإبليس: ((ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي)) فاليدان قد تكون صلة، فيرجع المعنى إلى النفس كما قال تعالى: ((ذلك بما قدمت يداك)) معناه بما قدمتم، والعرب تضيف الأفعال إلى اليمين لما كانت تقع بها بينهم غالبا، ويجوز أن تكون بمعنى القدرة، وتثنى وتجمع تعظيما لها كما قال تعالى: ((خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاما))، فسمى القدرة يدا وجمعها تعظيما...

فأما الوجه فإنه يكون أيضا بمعنى النفس كما قال تعالى: ((إنما نطعمكم لوجه الله)). وقد أجمع على أن الله سبحانه لا تثبت له صفة بألفاظ يسوغ منها الاجتهاد، فكان بذلك الذي قلنا أظهر¹¹³. وهذا خلاف بعض الفرق التي أثبتت الصفات على ظاهرها دون تأويلها.

تأويله الاستواء على العرش، يقول المرادي: “أعلم أنه لا يسأل عن الله سبحانه بكيف، ولا بما، ولا بمتى، ولا بأين.

ومعنى استوائه على عرشه أنه أرفع قدرا من مخلوقاته، والمخلوقات كلها من دونه. والاستواء بمعنى العلو معروف في اللغة، ولا يجوز أن يكون العرش مكانا له؛ لأن المتمكن إنما يكون بقدر مكانه، والمخالق سبحانه لا يقاس بشيء من خلقه، لأنه ليس بجسم من الأجسام ولا جرم من الأجرام، فلا يوصف بالقصر والطول، ولا بالتمكن والحلول، ولا تكئفه الجهات، ولا تحيط به المخلوقات؛ لأنه تعالى قد كان ولا مكان، ولم يتغير الآن عما كان¹¹⁴.”

(3) **إثبات الكلام النفسي:** يقول المرادي: “كلام الله سبحانه قديم بذاته، وهو كلام واحد غير متعدد في نفسه، وهو أمر ونهي، وخبر عن مخبراته، ولا مثل له من كلام خلقه... وهو خارج عن جميع اللغات ومقدس عن الحروف والأصوات... والموصوف بالقدم هو الكلام القائم بذاته¹¹⁵.” هو بمعنى الكلام النفسي الذي يقول به الأشاعرة، وهذا خلاف الذي يقول بقديم القرآن لفظا ومعنى. فالأصل عند المرادي هو تأويل المتشابهات حتى لا تؤثر في عقيدة الناس، إذ يقول: “واعلم أن

¹¹⁰ - جمال غلال البختي، في تصديره للكتاب نفسه، ص: 11.

¹¹¹ - المصدر نفسه، ص: 139.

¹¹² - المصدر نفسه، ص: 197.

¹¹³ - المصدر نفسه، ص: 234.

¹¹⁴ - المصدر نفسه، ص: 245.

¹¹⁵ - المصدر نفسه، ص: 227.

الآي المتشابهة والأحاديث المشككة يجب إخراجها عن ظواهرها وحملها على غير ذلك من احتمالاتها، ويرجع ذلك إلى المقصود من معانيها... وتأويلها أولى؛ لئلا تُسرّع إلى ظواهرها من التجسيم قلوب الجهال وألسنة أهل الضلال¹¹⁶. هذا هو اعتقاد أبي بكر المرادي في الله تعالى وهو على منهج أبي حسن الأشعري في الاستدلال.

- أبو الحجاج يوسف الضرير

هو أبو الحجاج يوسف بن موسى الملقب بالضرير (ت520هـ)،¹¹⁷ "كان من المشتغلين بعلم الكلام على مذهب الأشعرية ونظراً أهل السنة"¹¹⁸ تتلمذ على أبي بكر المرادي الحضرمي، "وكان مختصاً به"¹¹⁹ يقول عنه القاضي عياض تلميذه: "قرأت عليه أرجوزته الصغرى التي ألف في الاعتقادات، وحدثني بالكبرى، وبكتاب التجريد لأبي بكر المرادي، وأجازني في أرجوزته الكبرى، وجميع تواليفه، ورواياته، منها تأليف الفقيه أبي بكر المرادي، شيخه، وعنه كان أكثر أخذه"¹²⁰ وقد خلف الضرير أبا بكر المرادي في علوم الاعتقادات بعد وفاته¹²¹ وله منظومة بعنوان "التنبية والإرشاد في علم الاعتقاد"¹²² وهذه مختصرة من كتاب الإرشاد لأبي المعالي (الجويني)،¹²² وهو دليل قاطع على أن منهج الضرير هو منهج "كتاب الإرشاد" للجويني الذي يقر منهج أبي حسن الأشعري في العقيدة.

- المنهج العقلي التأويلي عند الضرير

لبيان ذلك نأخذ بعض الأبيات من منظومته "التنبية والإرشاد في علم الاعتقاد":

(1) قوله بالاستدلال العقلي:

فَحَيْرٌ مَا يُطَلَّبُ بِالذَّلِيلِ *** مَعْرِفَةُ الْإِلَهِ وَالرُّسُولِ
 لِأَنَّهَا تَشْرُفُ بِالْمَعْلُومِ *** وَالْحِطِّ عِنْدَ الْمَلِكِ الْقِيُومِ
 وَأَمَرَ اللَّهُ بِالْإِعْتِبَارِ *** وَبِالتَّفَكُّرِ وَالْإِسْتِبْصَارِ
 وَالْمِيزِ لِلْحَقِّ مِنَ الْأُذْيَانِ *** وَإِنَّمَا يَمْتَأَزُّ بِالْبُرْهَانِ¹²³

(2) قوله بوجوب النظر:

- 116- المصدر نفسه، ص: 261.
- 117- كتاب الصلة لابن بشكوال، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري-القاهرة، دار الكتاب اللبناني-بيروت، ط: 1، س ط: 1410/هـ 1989م، ج: 3، ص: 978.
- 118- الغنية للقاضي عياض، تحقيق: ماهر زهير جرار، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، ط: 1، س ط: 1402/هـ 1982م، ص: 226.
- 119- كتاب الصلة لابن بشكوال، ج: 3، ص: 978.
- 120- الغنية للقاضي عياض، ص: 226.
- 121- التشوف إلى رجال التصوف، ص: 106.
- 122- السكوبي شارح منظومة التنبية والإرشاد في علم الاعتقاد، اللوحة الأولى من الشرح المخطوط، نقلا عن مقدمة محقق التنبية والإرشاد في علم الاعتقاد لأبي الحجاج يوسف الضرير، تحقيق: سمير قوبيع-محمد العمراني-نور الدين شعبي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية-المغربية، دار أبي رقرق للطباعة والنشر، ط: 1، ص: 28.
- 123- أبو الحجاج يوسف الضرير، التنبية والإرشاد في علم الاعتقاد، ص: 48.

والتَّظَرُّ اسْمٌ لِمَعَانٍ أَرْبَعَةٌ *** تَضَمَّنَ الْكِتَابُ ذَاكَ أَجْمَعَةً

يَكُونُ لِلرُّؤْيِيَةِ بِالْأَبْصَارِ *** وَلِلتَّرْقُبِ وَالْإِنْتِظَارِ

وَلِلجَنَانِ وَلِلإِسْتِدْلَالِ *** وَهُوَ مَا يُفْصَدُ بِالْمَقَالِ¹²⁴

(3) طرق الاستدلال عنده تكون بالكتاب والسنة والإجماع والعقل:

وَيُسْتَدَلُّ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَنِ *** وَحُجَّةُ الْإِجْمَاعِ وَالرَّأْيِ الْحَسَنِ

عَلَى الْفَضَائِلِ كُلِّهَا السَّمْعِيَّةِ *** وَبَعْضُ مَا هُوَ مِنَ الْعَقْلِيَّةِ¹²⁵

(4) يقرر المبحث الطبيعي في مسألة حدوث العالم:

إِنَّ الدَّلِيلَ فِي حُدُوثِ الْعَالَمِ *** لِكُلِّ ذِي فَهْمٍ صَحِيحٍ سَالِمٍ

حَرَكَةٌ يَعْغُبُهَا سُكُونٌ *** يُعَدُّ هَذَا حِينَ ذَا يَكُونُ

وَهُمَا بِالْجَوْهَرِ احْتِلَالٌ *** وَكَوْنُهُ دُوْحَمًا مُحَالٌ

فَلَمْ يَكُنْ وُجُودُهُ قَبْلَهُمَا *** فَكَانَ حَادِثًا إِذَا مَثَلَهُمَا

وَسَائِرُ الْأَعْرَاضِ كَالْأَلْوَانِ *** فِيمَا فَرَضْنَاهُ مِنَ الْبُرْهَانِ¹²⁶

(5) عقيدة التنزيه:

وَيَسْتَحِيلُ أَنْ تَكُونَ ذَاتُهُ *** كَذَاتِ مَخْلُوقٍ كَذَا صِفَاتُهُ

وَيَسْتَحِيلُ الْكُونُ فِي مَكَانٍ *** عَلَيْهِ إِذْ لَيْسَ بِذِي أَكْوَانٍ

وَلَا لَهُ حَدٌّ وَلَا مَبَالٌ *** وَلَا تَعَايُزٌ وَلَا زَوَالٌ

فَكُلُّ ذَاكَ مِنْ خَوَاصِ الْمُحَدَّثَاتِ *** وَهُوَ تَعَالَى جَلَّ عَنْ هَذِي الصِّفَاتِ

وَوَصْفُهُ فِي الْوَحْيِ بِالْيَدَيْنِ *** وَالْوَجْهِ وَالنُّزُولِ وَالْعَيْنَيْنِ

وَالِإِسْتِزَاءِ وَالْمَجْئِي لِأَلَمِّمٍ *** وَأَنَّهُ يَضَعُ فِي النَّارِ الْقَدَمَ

¹²⁴ - المصدر نفسه، ص: 72-73.

¹²⁵ - المصدر نفسه، ص: 78.

¹²⁶ - المصدر نفسه، ص: 92.

لِلْكَلِّ تَأْوِيلٌ صَحِيحٌ فِي اللَّغَةِ *** وَالْعَقْلُ فَاعْتَقِدْهُ حَتَّى تَبْلُغَهُ¹²⁷

ثم يسترسل في ذكر الصفات وما ورد في الأخبار من المتشابهات فيقولها إلى معانيها الحقيقية تأويلا لغويا وعقليا¹²⁸ بخلاف منهج بعض الفرق الأخرى في إثبات الصفات على ظاهرها، ولولا خشية الإطالة لأتيت بنماذج كثيرة من هذا النوع الذي يوضح منهجية الضرير وتأثره بكتاب الإرشاد للجويني، ويكفي ذكر هذا فقط؛ لأن غايته هو الاستشهاد فقط وليس دراسة كل فكر الضرير فليراجع في "كتاب التنبية والإرشاد في علم الاعتقاد" فهو مطبوع.

- محمد بن تومرت

هو محمد بن عبد الله بن تومرت (ت 524هـ/1129م) مؤسس الدولة الموحدية، وهو الذي قام بتأسيس المذهب الأشعري بالمغرب، وكان قبل ذلك قد "ارتحل في طلب العلم إلى المشرق على رأس المائة الخامسة"¹²⁹، و"لقي بالمشرك أئمة الأشعرية من أهل السنة وأخذ عنهم واستحسن طريقهم في الانتصار للعقائد السلفية والذب عنها بالحجج العقلية... وذهب إلى رأيهم في تأويل المتشابه من الآي والأحاديث"¹³⁰ وبعد رجوعه إلى المغرب أخذ في نشر العقيدة الأشعرية على طريقة أهل التأويل، حيث حمل المغاربة "على القول بالتأويل والأخذ بمذاهب الأشعرية في كافة العقائد"¹³¹ "فأهل المغرب لم يكونوا قبل رجوع المهدي من المشرق يعتنقون مذهب الأشعري في العقيدة، وإن يكن بعض علمائهم حصل لهم علم بهذا المذهب"¹³² حيث أن السلطة الحاكمة في ذلك العهد كانت ترفض الخوض في علم الكلام، وكانوا يبالغون في إمرار النصوص على ظاهرها مما أوقع الناس في التجسيم، وكانوا رافضين لكل تأويل أو استدلال عقلي على حقائق العقيدة"¹³³ مما جعل ابن تومرت يفكر في تغيير تصور المغاربة في العقيدة لكي "تتحول من تصورات يشوبها التجسيم إلى تصورات تقوم على التوحيد المطلق الموجب لتنزيه الخالق عن كل شبهة بالمخلوقات"¹³⁴ فقد "كان شغله الشاغل أن يقرب العقيدة القائمة على أساس من التنزيه والتأويل إلى أفهام العامة وأن يجعلها قوام تصورهم العقدي، وهو ما كان ينفق فيه شطرا كبيرا من جهده التربوي، وألف فيه عدة رسائل أهمها "المرشدة"، ليقوم التوحيد في الأذهان مقام التشبيه والتجسيم"¹³⁵ وكان قد "بنى رابطة للعبادة اجتمعت إليه الطلبة والقبائل يعلمهم المرشدة في التوحيد باللسان البربري"¹³⁶ و"المرشدة هي رسالة صغيرة الحجم لا تتجاوز الصفحتين، فيها عرض موجز لمسائل العقيدة خال من البراهين، ولعلها أكثر مؤلفات المهدي انتشارا في المغرب والمشرق لأنها تعتبر خلاصة لفكره العقدي"¹³⁷ و"قد شاع ذكرها بين الناس عامتهم وعلمائهم، وجرت بها الألسنة حفظا وشرحا، وصارت على مر الأيام الخلاصة للتصور العقدي الذي تجر به الأذهان ويلقن للناس"¹³⁸ وقد سار ابن تومرت على نهج "كتاب الإرشاد" في الاستدلال على العقائد، وهذا يتبين من خلال كتبه ككتاب "المرشدة" وكتاب "أعز ما يطلب". وفي هذا الصدد يقول المقرئ: "... واتفق مع ذلك توجه أبي عبد الله محمد بن تومرت أحد رجالات المغرب إلى العراق وأخذ عن أبي حامد الغزالي مذهب الأشعري، فلما عاد إلى بلاد المغرب وقام في المصامدة يفتقهم ويعلمهم ووضع لهم عقيدة تلقفها عنه عامتهم ثم مات فخلفه بعد موته عبد المؤمن بن علي القيسي وتلقب بأبى المؤمنين وغلب على ممالك المغرب

127- المصدر نفسه، ص: 109-110.

128- المصدر نفسه، ص: 111 وما بعدها.

129- تاريخ ابن خلدون، تحقيق: خليل شحادة، مراجعة: سهيل زكار، دار الفكر، 1421هـ/2000م، ج: 6، ص: 301-302.

130- المصدر نفسه، ج: 6، ص: 302.

131- المصدر نفسه، ج: 6، ص: 302.

132- المهدي بن تومرت، عبد المجيد النجار، ط: 1، س ط: 1403هـ/1983م، ص: 430.

133- عبد المجيد النجار، تجربة الإصلاح في حركة المهدي بن تومرت، المعهد العالمي للفكر الإسلامي-فيرجينيا، ط: 2، س ط: 1415هـ/1995، ص: 52.

134- المهدي بن تومرت، عبد المجيد النجار، ص: 351.

135- المصدر نفسه، ص: 359.

136- تاريخ ابن خلدون، ج: 6، ص: 303. روض القرطاس لابن أبي زرع، دار المنصور للطباعة والوراقة-الرباط، 1972، ص: 177.

137- المهدي بن تومرت، عبد المجيد النجار، ص: 150.

138- المصدر نفسه، ص: 447.

هو وأولاده من بعده، مدة سنين وتسموا بالموحدين تستبيح دماء من خالف عقيدة ابن تومرت ... فكان هذا هو السبب في انتشار مذهب الأشعري وانتشاره في أمصار الإسلام، بحيث نسي غيره من المذاهب وجهل حتى لم يبق اليوم مذهب يخالفه....” 139

وقد اشتهر أئمة المذهب الأشعري باسم “الصفائين” وهذا المصطلح سيصبح فيما بعد علما على حركة الأشاعرة الذين حملوا لواء هذا الفكر، بعد انخياز الإمام الأشعري إلى طائفة أهل السنة والجماعة على قاعدة كلامية، فأيد مقالهم بمنهج كلامية، وصار ذلك مذهباً لأهل السنة والجماعة، كما أصبح حلقة ذهبية تصل الخلف بالسلف. 140

- المنهج العقلي والتأويلي عند ابن تومرت:

1) **وجوب النظر:** يرى ابن تومرت أن الله يُعرف بضرورة العقل وذلك أن العقلاء “استقر في نفوسهم أن الفعل لا بد له من فاعل، وأن الفاعل ليس في وجوده شك، ولذلك نبه الله تبارك وتعالى في كتابه فقال: ((أفي الله شك فاطر السموات والأرض)) أخصر تعالى أن فاطر السموات والأرض ليس في وجوده شك، وما انتفى عنه الشك، وجب كونه معلوماً، فثبت بهذا أن الباري سبحانه يُعلم بضرورة العقل” 141 ومعنى الضرورة عنده، يقول: “والضرورة ما لا يتطرق إليه الشك، ولا يمكن العقل دفعه. وهذه الضرورة على ثلاثة أقسام: واجب، وجائز، ومستحيل، فالواجب ما لا بد من كونه، كافتقار الفعل إلى الفاعل، والجائز ما يمكن أن يكون، ويمكن ألا يكون، كنزول المطر، والمستحيل ما لا يمكن كونه، كالجمع بين الضدين، وهذه الضرورة مستقلة في نفوس العقلاء بأجمعهم” 142

2) **المبحث الطبيعي في الاستدلال العقدي:** وذلك بذكر الأفلاك والأجسام والجواهر والأعراض والحركة والسكون والطبع والعادة والتغير والزيادة والنقصان والحيوانات والجمادات والآثار الطبيعية والألوان المختلفة، 143 وهذا النوع من الاستدلال ينتمي إلى منهج “كتاب الإرشاد” في الاستدلال على العقائد، وهو منهج “كتاب اللمع” أيضاً بعد التطوير.

واستدل بنظرية الجوهر الفرد على الحدوث كقوله: “وجميع المحدثات وإن كثرت أعدادها، واختلفت أجناسها على ضربين: تغير، ومتغير، فالتغيرات هي الأعراض، والمتغيرات هي الأجرام.

والأجرام على ضربين: منفرد ومتألف، فالمنفرد هو الجزء الفرد الذي لا يجوز عليه التجزيء والانقسام، المتغير بالأعراض المتعاقبة، والأحوال المتلازمة” 144 وهذه هي نظرية الجوهر الفرد عند الأشاعرة، وهذا المبحث الطبيعي قد تناوله أبو الحسن الأشعري، حيث قال: “اعلموا أرشدكم الله أن مما أجمعوا -رحمة الله عليهم- على اعتقاده مما دعاهم النبي (صلى الله عليه وسلم) إليه، ونبههم بما ذكرناه على صحته أن العالم بما فيه من أجسامه وأعراضه محدث لم يكن ثم كان، وأن لجميعة محدثاً واحداً، اخترع أجناسه، وأحدث جواهره وأعراضه، وخالف بين أجناسه” 145.

3) **عقيدة التنزيه:** كان ابن تومرت في استدلاله العقدي على منهج التأويل لكتاب “اللمع” الذي استفاده من الجويني والغزالي، ومن أمثلة على منهج التأويل، يقول في تنزيهه لله تعالى: “والخالق سبحانه هو الأول والآخر، والظاهر والباطن، وهو بكل شيء عليم، الأول من غير بداية، والآخر من غير نهاية، والظاهر

139- المواظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، المعروف بالخطط المقرئية، ج 2 ص: 358، تأليف تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي المقرئ، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، الطبعة الثانية.

140- الملل والنحل، للشهرستاني، ج 1 ص: 93.

141- أعز ما يطلب، محمد بن تومرت، تحقيق: عمار طالي، وزارة الثقافة الجزائرية-الجزائر عاصمة الثقافة العربية، 2007، ص: 214.

142- المصدر نفسه، ص: 214.

143- المصدر نفسه، ص: 195 وما بعدها.

144- المصدر نفسه، ص: 195-196.

145- رسالة إلى أهل الثغر، أبو الحسن الأشعري، تحقيق: عبد الله شاکر الجنيدي، ط: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، 1988، ص: 209.

من غير تحديد، والباطن من غير تخصيص، موجود على الإطلاق من غير تشبيه ولا تكييف... ليس له مثل يقاس عليه، هو كما قال تعالى: ((ليس كمثل شئ وهو السميع البصير)) لا يلحقه الوهم، ولا يكتفه العقل، "عرفه العارفون بأفعاله، ونفوا التكييف عن جلاله لما يؤدي إليه من التجسيم والتعطيل" 146. ويقول: "لا إله إلا الذي دلت عليه الموجودات، وشهدت عليه المخلوقات، بأنه جل وعلا وجب له الوجود على الإطلاق، عن غير تقييد، ولا تخصيص بزمان، ولا مكان، ولا جهة، ولا حد، ولا جنس ولا صورة ولا شكل ولا مقدار، ولا هيئة، ولا حال. أول لا يتقيد بالقبلة، آخر لا يتقيد بالبعدية، أحد لا يتقيد بالأينية، صمد لا يتقيد بالكيفية، عزيز لا يتقيد بالمثلية، لا تحده الأذهان، ولا تصوره الأوهام، ولا تلحقه الأفكار، ولا تكييفه العقول، لا يتصف بالتحيز والانتقال، ولا يتصف بالتغير والزوال، ولا يتصف بالجهل والاضطرار، ولا يتصف بالعجز والافتقار، له العظمة والجلال، وله العزة والكمال، وله العلم والاختيار، وله الملك والاقتدار، وله الحياة والبقاء، وله الأسماء الحسنى". 147 هذا بعض ما جاء من كلام ابن تومرت ونموذج من استدلالاته العقديّة، ولست أريد التطويل حتى لا أخل بهذا البحث وأكتفي بما أريد بيانه من منهج ابن تومرت في استدلاله على العقيدة؛ ما دام أن غرضي هو معرفة منهج الاستدلال العقدي عند أشاعرة المغرب.

(4)

- عثمان السلاجي

هو أبو عمرو عثمان بن عبد الله السلاجي (ت564هـ) 148 يقول عنه التادلي عند ترجمته في كتاب التشوف: "إمام أهل المغرب في علم الاعتقاد... لقي أبا الحسن علي بن أحمد اللخمي المعروف بابن الأشبيلي وكان له بصر وخبرة بكتاب الإرشاد، فلأزمه مدة يسيرة حصل له فيها فهم الإرشاد وفتح عليه كل ما انغلق عليه من معانيه، فعاد إلى فاس فهد في الدنيا وأهلها وانتصب لتعليم العلم محتسبا إلى أن لحق بالله تعالى"، 149 ويحكي التادلي عن السلاجي قوله في كيفية اطلاعه على كتاب الإرشاد، يقول السلاجي: "لقيت فتى من أصحابي، فبت عنده وكان الفتى بطالا [أبوه] من طلبة العلم، فجعلت أنظر في كتبه، فوقع بيدي من علوم الاعتقاد التقريب والإرشاد فأعجبني وقال لي صاحبهما: هذا الإرشاد هو المدخل إلى هذا العلم، ثم حملته إلى ابن حرزهم وابن الرمالة واستشرهما في قراءته فاستحسنه وأشارا علي بالنظر فيه، فقلت لابن حرزهم: أتأذن لي في قراءته عليك؟ فقال لي: لا أجيده، فإن قنعت مني بتعليم ما أعلمه فانظره. فأخذته عليه"، 150 وهذه الرواية نفهم منها إقبال صوفية المغرب الأشاعرة على منهج الجويني في الاستدلال على العقائد الإيمانية، فهذا ابن حرزهم من شيوخ الصوفية الكبار بالمغرب ومن المرجعيات الكبرى في تصوف المغاربة كان أشعريا على طريقة الجويني، وعلى منهج كتاب "اللمع".

كان السلاجي في مرحلة طلب العلم مفتتنا بكتاب الإرشاد، حتى أن "العلم الذي كان يطلبه وملاً الاهتمام به شغاف قلبه هو علم الاعتقاد في كتاب "الإرشاد" ... فهو بعد رجوعه إلى فاس من بجاية سالما بجلده، فارغ اليد مما رحل إليه؛ طلبه بعض الرؤساء لتعليم أولاده وحمله معه إلى مراكش حيث لقي الشيخ أبا الحسن اللخمي المعروف بابن الأشبيلي وكان ذا بصيرة في كتاب "الإرشاد" فلأزمه مدة حصل له فيها فهم ذلك الكتاب وفتح عليه كل ما أغلق من معانيه". 151 يقول يوسف احتانة عن أبي عمرو السلاجي: "المفكر الأشعري المغربي الذي رفع بعض المؤرخين درجته في علم الكلام بالغرب الإسلامي إلى درجة أبي المعالي الجويني في المشرق، وذلك لاطلاعه الواسع بأموه علم الكلام الأشعري من جهة، ولدوره الكبير في بث ونشر المذهب الأشعري بالمغرب، حتى قيل عنه إنه هو الذي أنقذ أهل فاس

146- المصدر نفسه، ص: 217.

147- المصدر نفسه، ص: 225.

148- التشوف إلى رجال التصوف، تحقيق أحمد التوفيق، ط: 2، س: 1997، ص: 198.

149- المصدر نفسه، ص: 198-200.

150- المصدر نفسه، ص: 198-199.

151- ذكريات مشاهير رجال المغرب في العلم والأدب والسياسة، عبد الله كنون، مركز التراث الثقافي المغربي، دار ابن حزم، بيروت-لبنان، ط: 1، س ط: 2010، ج: 1، ص: 254-255.

من التجسيم".¹⁵² توجد للسلاجي رسالة تسمى بـ "العقيدة البرهانية" المشهورة بالسلاجية (وهي) على صغر حجمها مختصر "الإرشاد"¹⁵³ "فقد كان لحجمها الصغير ودقة عباراتها، دور فعال في إقبال المغاربة عليها بكل أصنافهم وفئاتهم وأعمارهم وتخصصاتهم، فالتفوا حولها وقاموا بحفظها وتعلمها وشرحها كل حسب طاقته وإمكانياته"¹⁵⁴ فقد "لقيت قبولا تلقائيا من طرف المغاربة، لكونها-على وجازتها واختزالها- تعطي تصورا عاما ودقيقا عن أصول وأركان العقيدة، بحيث يخرج قارئها بنظرة وافية عما يجب أن يعتقد في حق الله [تعالى] وصفاته ورسله والأخبار الغيبية المرتبطة بالرسالة"¹⁵⁵ سار السلاجي في هذه الرسالة التي كتبها على منهج التأويل، يقول عبد الله كنون: "إن ما حصل به الشيخ على الشهرة الواسعة وأبقى له الذكر الحسن في الناس، هو هذه المقدمة العقيدية التي شهرت "بالبرهانية" واقترنت بذكر جهاده في بث عقيدة أهل التأويل"،¹⁵⁶ على طريقة الجويني في "كتاب الإرشاد" وهو نفسه منهج "كتاب اللمع" كما ذكرت سابقا، و"إن منهجه فيها، وتقسيمه لموضوعاتها ينبى عن اطلاع واسع وخبرة كبيرة بمباحث العقيدة وبمسائل علم الكلام، لهذا اندفع الشراح إلى العناية بها وأسهب المتكلمون المغاربة في توضيح فصولها وبسط قضاياها"¹⁵⁷ وشرح البرهانية جلها مفقود.¹⁵⁸

- منهج التأويل عند السلاجي

يقول السلاجي منزهة الله تعالى عن مشابته الحوادث: "والدليل على أنه تعالى مخالف للحوادث: هو أن المثليين: كل موجودين متساويين في جميع صفات النفس، والرب تعالى مقدس عن جميع سمات الجواهر والأعراض، فوجب أن يكون مخالفا لها؛ وذلك أن الجوهر حقيقته: المتحيز، والمتحيز يجوز عليه الاختصاص ببعض الجهات والمخاذايات، وذلك يدل على حدوثة، والموصوف بالقدم لا يتصف بما يدل على حدوثة"¹⁵⁹ فهذه المنهجية العقلية في الاستدلال لا تتفق مع منهج "كتاب الإبانة" مما يفيد في أن السلاجي كان يسير على منهج الجويني في الإرشاد لهذا وللأدلة التي ذكرتها من قبل.

- ابن خمير السبتي

هو أبو الحسن علي بن أحمد السبتي المعروف بابن خمير الأموي السبتي (ت 614هـ/1217م)، له كتاب "مقدمات المرشد" محقق مطبوع، وقد كان أيضا على منهج "كتاب الإرشاد" وعلى طريقة "كتاب اللمع" في الاستدلال العقدي كحال جميع المغاربة، ومما يؤكد أن المنهج الأشعري المغربي هو منهج "كتاب اللمع" قول ابن خمير السبتي في مقدمة كتابه "مقدمات المرشد" يرد فيه على من يُفترض أنه سئسأل عن سبب إقدامه على تأليف هذا الكتاب وقد سبقه من هو أعلم منه، يقول ابن خمير: "فإن قيل: وكيف تستتب لك هذه الدعوى وقد تقدمك إليها فحول العلماء ورؤساء الطريقة كالشيخ أبي الحسن في "لمعه"..."¹⁶⁰ فدل هذا أنه كان على المنهج الحقيقي لأبي الحسن الأشعري لذكره ابن خمير ولما ذكر "اللمع"، فهذا نص واضح يزكي هذا الموضوع المخصص للفكر الأشعري المغربي؛ حيث يؤكد هذا النص أن المنهج الاستدلالي العقدي عند أشاعرة المغرب هو منهج "اللمع"، وأنه المنهج الحقيقي الذي مات عليه أبو الحسن الأشعري، وقد سار ابن خمير السبتي في كتابه "مقدمات المرشد" على هذا المنهج.

¹⁵² - تطور المذهب الأشعري في الغرب الإسلامي، يوسف احنانا، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 2003، ص: 112.

¹⁵³ - ذكريات مشاهير المغرب، ج: 1، ص: 263.

¹⁵⁴ - جمال البختي، عثمان السلاجي ومذهبيته الأشعرية، جمال علال البختي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، ط: 1، س: ط: 2005، ص: 184.

¹⁵⁵ - المصدر نفسه، ص: 197.

¹⁵⁶ - ذكريات مشاهير المغرب، ج: 1، ص: 263.

¹⁵⁷ - عثمان السلاجي ومذهبيته الأشعرية، ص: 201.

¹⁵⁸ - المصدر نفسه، ص: 181.

¹⁵⁹ - العقيدة البرهانية والفصول الإمامية للسلاجي، شرح العقباتي، تحقيق: نزار حمادي، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، بيروت-لبنان، ط: 1، س: ط: 1429هـ/2008م، ص: 25-26.

¹⁶⁰ - ابن خمير السبتي، مقدمات المرشد، تحقيق: أحمد عبد الرحيم السايح-توفيق علي وهبة، مكتبة الثقافة الدينية، ط: 1، س: ط: 1429هـ/2008م، ص: 21.

- المنهج العقلي التأويلي وذم التقليد عند ابن خنيز السبتي:

(1) وجوب النظر: يرى ابن خنيز وجوب النظر والاستدلال على العقائد ويذم التقليد مطلقاً، يقول: "العلم بالله تعالى واجب بالإجماع، والتقليد ترك العلم، وترك الواجب حرام، فالتقليد حرام، والحرام مذموم بالشرع، فالتقليد مذموم" و"أجمعت الأمة على أن العلم بالله تعالى واجب، وهو لا يحصل إلا بالنظر والاستدلال، وما لا يصح الواجب إلا به فهو واجب". ويستدل على حدوث العالم انطلاقاً من الحكم العقلي باعتبار العلم بالجواز، وهو قطب العقل،¹⁶¹ كما ذكر، ثم يسترسل في وصف ظواهر الطبيعة، وهذا المنهج هو منهج أبي الحسن الأشعري.

(2) عقيدة التنزيه: في كتابه "مقدمات المرشد" يعمل بمنهج التأويل لتنزيه الله تعالى عن الحوادث ونفي التشبيه عنه تعالى، يقول: "فهذه جملة العالم بأسره من العرش إلى الفرش يشهد بنفي التشبيه بينه وبين خالقه"، ورد على المشبهة في آيات وأحاديث ركنوا إلى ظاهرها كآية الاستواء، وآية المجيء، وآية الساق، واليد، والعين، والأعين، والجنب، وكذلك حديث النزول، وحديث القدم، والرجل، والضحك، والفرح... إلى غير ذلك، بالمنهج العقلي التأويلي،¹⁶² ويؤول اليد واليدين والأيدي بالقدرة البالغة، والأعين بالحفظ، والوجه بالطاعة والانقياد، وغير ذلك من الصفات، ويقول: "جملة الأمر أن كل صفة لا يثبت للباري تعالى بإثباتها كمال، ولا ينتفي عنه بنفيها نقص، ولا تفتقر إليها الأفعال، ولا يقوم على إثباتها دليل من العقل، ولا نص قاطع من النقل، فقد انسد الطريق إلى إثباتها".¹⁶³

(3) إثبات الكلام النفسي: ويثبت أيضاً الكلام النفسي لله ويرد على المجسمة الذين يرون كلام الله عبارة عن حروف وأصوات،¹⁶⁴ ويقول: "فصح أن الكلام الحقيقي لنا هو كلام النفس بشهادة العقل والنقل، وما سواه من الأصوات والرموز والإشارة والكتابة... وغير ذلك من الأمارات إنما هو عبارة عن الكلام لا نفس الكلام".

(4) إثبات الكسب: أثبت ابن خنيز الكسب، وهو النظرية التي جاء بها الأشعري في "كتاب اللمع"، وأطال الأشعري النفس فيها وبسطها تبسيطاً، وابن خنيز أيضاً أطال فيها الكلام ورد على من يخالف الأشاعرة في هذه المسألة¹⁶⁵

- المكلاقي

هو أبو الحجاج يوسف بن محمد المكلاقي (ت 626هـ/1237م) أشعري على التحقيق بخلاف من يرى أنه كان ينتمي إلى طائفة الفلاسفة، فهذا بعيد جداً، فنصوصه التي أوردها في كتابه "لباب العقول في الرد على الفلاسفة في علم الأصول" تبين ذلك، فهو يسير فيه على منهج الأشاعرة المتأخرين، ويستدل بآرائهم، وما يدل على أشعريته ترضيه عن أبي الحسن الأشعري، وموافقته الأشاعرة في كل آرائهم، كما نجد في كلامه هنا، حيث يقول: "وقد تردد جواب أبو الحسن الأشعري رضي الله عنه في ذلك..."¹⁶⁶ ويقول: "وإلى هذا ذهب أبو حامد وجماعة من الأشعرية، وهذا المختار عندنا"¹⁶⁷ وكذلك في إثباته لله الكلام النفسي إذ يقول: "وأنه تكلم بكلام قديم أزلي، لا مفتتح لوجوده... هو القول القائم بالنفس... فخرج لك من ذلك ثبوت كلام قائم بالنفس"¹⁶⁸ والأشاعرة هم من يقولون بالكلام النفسي.

- ملاحظات في كتاب "لباب العقول في الرد على الفلاسفة في علم الأصول"

¹⁶¹ - المصدر نفسه، ص: 63. ص: 66 وما بعدها.

¹⁶² - المصدر نفسه، ص: 103 وما بعدها.

¹⁶³ - المصدر نفسه، ص: 141-143.

¹⁶⁴ - المصدر نفسه، ص: 151 وما بعدها.

¹⁶⁵ - المصدر نفسه، ص: 178.

¹⁶⁶ - لباب العقول في الرد على الفلاسفة في علم الأصول، أبو الحجاج يوسف المكلاقي، تحقيق: فؤادية حسين محمود، دار الأنصار، القاهرة، ط: 1، س ط: 1977، ص: 213.

¹⁶⁷ - المصدر نفسه، ص: 213-214.

¹⁶⁸ - المصدر نفسه، ص: 255-260.

كان المكلاطي متأثراً بمنهج "كتاب الإرشاد" للجويني كغيره من أشاعرة المغرب، فهو يرد على الفلاسفة في كتابه "لباب العقول" انطلاقاً من "كتاب الإرشاد" للجويني، وأحياناً ينقل بعض العبارات كما هي في "كتاب الإرشاد"، دون أن يتصرف فيها، كقوله: "وذهب الجبائي وابنه إلى أن المعنى بكونه سمياً بصيراً أنه حي لا آفة به"¹⁶⁹، والكلام نفسه في "كتاب الإرشاد"، يقول الجويني: "وذهب الجبائي وابنه إلى أن المعنى بكونه سمياً بصيراً أنه حي لا آفة به"¹⁷⁰ ويقول المكلاطي: "وأطبق المنتمون إلى الإسلام على إثبات الكلام، ولم يصر صائر إلى نفيه، ولم ينتحل أحد في كونه متكلماً نحلة نفاة الصفات في كونه عالماً قادراً حياً"¹⁷¹ وفي "كتاب الإرشاد": "وأطبق المنتمون إلى الإسلام على إثبات الكلام، ولم يصر صائر إلى نفيه، ولم ينتحل أحد في كونه متكلماً نحلة نفاة الصفات في كونه عالماً قادراً حياً"¹⁷² ويقول المكلاطي في كتابه "لباب العقول" في نص كامل مجتزأ كما هو من "كتاب الإرشاد": "ثم ذهب المعتزلة، والخوارج، والزيدية، والإمامية، ومن عداهم من أهل الأهواء إلى أن كلام الله تعالى عن قول الزائغين حادث مفتتح وجوده. وصار صائرون من هؤلاء إلى الامتناع عن تسميته مخلوقاً، لما في لفظ المخلوق من إيهاًم الخلق، إذ الكلام المخلوق، هو الذي ينوبه المتكلم تحرصاً من غير أصل. وأطلق معظم المعتزلة لفظ المخلوق على كلام الباري تعالى، وذهبت الكرامية إلى أن الكلام قديم، والقول حادث والقرآن قول الله تعالى، وليس بكلام الله تعالى. وكلام الله تعالى عندهم القدرة على التكلم. وقوله حادث قائم بذاته تعالى عن قول المبطلين وهو غير قائل بالقول القائم به، وإنما هو قائل بالقائلة"¹⁷³ وفي "كتاب الإرشاد" يقول الجويني: "ثم ذهب المعتزلة، والخوارج، والزيدية، والإمامية، ومن عداهم من أهل الأهواء إلى أن كلام الباري تعالى عن قول الزائغين حادث مفتتح الوجود. وصار صائرون من هؤلاء إلى الامتناع من تسميته مخلوقاً، مع القطع بجدته لما في لفظ المخلوق من إيهاًم الخلق، إذ الكلام المخلوق، هو الذي يبيده المتكلم تحرصاً من غير أصل. وأطلق معظم المعتزلة لفظ المخلوق على كلام الله تعالى، وذهبت الكرامية إلى أن كلام الله قديم، والقول حادث غير محدث والقرآن قول الله، وليس بكلام الله. وكلام الله عندهم القدرة على الكلام. وقوله حادث قائم بذاته تعالى عن قول المبطلين؛ وهو غير قائل بالقول القائم به، بل قائل بالقائلة"¹⁷⁴ فهذه فقط بعض المختارات من الكتابين أبين من خلالها استفادة المكلاطي من "كتاب الإرشاد"، مما يزيدنا تأكيداً أن أشاعرة المغرب تأثروا بكتاب "الإرشاد" للجويني وساروا على نهجه وهو نفس اتجاه "كتاب اللمع" لأبي الحسن الأشعري كما قرره كثير من الباحثين.

- منهج التأويل عند المكلاطي

عقيدة التنزيه: ينفي المكلاطي عن الله الجهة والزمان، واستحالة ذلك على الله، يقول: "مذهب أهل الحق، أن الباري تعالى وتقدس يستحيل عليه التخصص بالجهات، كما يستحيل عليه التغير بالزمان"¹⁷⁵ تأويله آية ((الرحمن على العرش استوى)) وأن الاستواء تارة يعني القهر والغلبة وتارة يكون بمعنى الاستيلاء، يقول: "فالعرش في كلام العرب لفظ مشترك، تارة يطلق ويراد به السرير وتارة يطلق ويراد به الملك.

فإن قلناه على السرير؛ قلنا فيه تأويلان:

أحدهما: حمل الاستواء على القهر والغلبة، وذلك شائع في اللغة... والتأويل الثاني: حمل الاستواء على قصد الإله الرائد في العرش... وإن حملنا العرش على الملك، فيكون الاستواء بمعنى الاستيلاء وذلك أمر مشهور في كلام العرب"¹⁷⁶ هذه بعض ما اخترته من النصوص أبين من خلالها منهج المكلاطي في العقائد الإيمانية، وما يهمني هو الوقوف على حقيقة منهجه وليس عرض نصوصه وهي كثيرة.

¹⁶⁹ - المصدر نفسه، ص: 213.

¹⁷⁰ - كتاب الإرشاد، الجويني، مطبعة السعادة، مصر، س ط: 1369هـ/1950م، ص: 72.

¹⁷¹ - المصدر نفسه، ص: 255.

¹⁷² - المصدر نفسه، ص: 99.

¹⁷³ - لباب العقول، المكلاطي، ص: 255-256.

¹⁷⁴ - كتاب الإرشاد، الجويني، ص: 100-101.

¹⁷⁵ - لباب العقول، المكلاطي، ص: 173.

¹⁷⁶ - المصدر نفسه، ص: 176-177.

- عبد الواحد بن عاشر

هو "أبو مالك عبد الواحد بن أحمد بن عاشر الأنصاري الأندلسي الأصل الفاسي المولد والقرار الفقيه الأصولي المتكلم... له تأليف منها المنظومة المسماة بالمرشد المعين رزق فيها القبول... توفي في ذي الحجة سنة 1040 هـ " 177 ومنظومته المشهورة يحفظها طلبة العلم الشرعي في الكتاتيب القرآنية ويدرسونها في المدارس العتيقة، هذه المنظومة التي استفاد منها المسؤولون في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية والمشرفون على اصلاح الحقل الديني قاعدة ما يعرف عندهم بالثوابت الدينية عند المغاربة، وهي العقيدة الأشعرية والمذهب المالكي والتصوف السني، نجد تلك الصلة الوثيقة بين العقيدة الأشعرية السنية، وطريقة الإمام الجنيد - رحمه الله - في تقويم السلوك، والفقه المالكي عموماً. وهذه المنظومة المتكاملة: العقيدة والتصوف والمعاملات، هي قوام الإسلام وأساسه، وهي كلها تصدر عن الشرع الحكيم المتمثل في الوحي المنزل: القرآن الكريم، والسنة النبوية الصحيحة. أخذوها من قوله:

في عقْدِ الأشْعَرِيِّ وفقه مالِكِ *** وفي طَرِيقَةِ الجَنِيدِ السَّالِكِ 178

ومنهج في المنظومة له علاقة وطيدة بالفكر الأشعري المغربي قديماً وحديثاً، وأستعرض منها بعض الأبيات مع شرحها من كتاب "الدر الثمين والموارد المعين" لمحمد بن أحمد بن محمد الفاسي الشهير بـ "ميارة" وهو شرح على منظومة ابن عاشر، لبيان أنه سواء الناظم أو الشراح كلهم ساروا على منهج "كتاب الإرشاد" للجويني وعلى طريقة "كتاب اللمع" للأشعري.

(1) الحكم العقلي: يتدئ ابن عاشر مقدمته لكتاب الاعتقاد في منظومته بذكر الحكم العقلي مما يفيد أن منهجه في الاستدلال على العقائد بمنهج عقلي، يقول ابن عاشر:

وَحُكْمُنَا العَقْلِيُّ قَضِيَّةٌ بِلَا *** وَقَفَّ عَلَى عَادَةٍ أَوْ وَضِعَ جَلَا
أَقْسَامٌ مُقْتَضَاهُ بِالْحَصْرِ تَمَازُ *** وَهِيَ الْوُجُوبُ الِاسْتِحَالَةُ الْجَوَازُ

الشرح: "ودليل الحصر في الثلاثة... هو أن كل ما يحكم به العقل، إما أن يقبل الثبوت والانتفاء معا أو يقبل الثبوت فقط أو الانتفاء فقط؛ فالأول هو الجائز ويسمى الممكن أيضاً. والثاني الواجب. والثالث المستحيل".

(2) وجوب النظر: يوجب ابن عاشر استعمال النظر في الاستدلال العقدي، يقول ابن عاشر:

أَوَّلُ وَاجِبٍ عَلَى مَنْ كَلَّفَا *** مُمَكَّنًا مِنْ نَظَرٍ أَنْ يَعْرِفَا

الشرح: "والعرفة الواجبة في الجزم المطابق عن دليل فخرج بالجزم من كان إيمانه عن ظن أو شك أو وهم فإيمانه باطل بإجماع. وخرج بوصفه بالمطابق الجرم غير المطابق ويسمى الاعتقاد الفاسد والجهل المركب كاعتقاد الكافرين التجسيم أو التثليث أو نحو ذلك". 179

(3) عقيدة التنزيه: يقول ابن عاشر:

وَحُلْفُهُ لِخَلْقِهِ بِلَا مِثَالٍ *** وَوَحْدَةُ الدَّاتِ وَوَصْفِ الْفِعَالِ

177 - شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، محمد بن محمد مخلوف، المطبعة السلفية-القاهرة، 1349، ص: 299-300.

178 - الدر الثمين، محمد بن أحمد بن محمد الفاسي الشهير بميارة، دار الفكر، ط: 1، 1429هـ/2008م، ص: 13.

179 - المصدر نفسه، ص: 18.

الشرح: " (مخالفته تعالى للحوادث) لا يماثله تعالى شيء من الحوادث لا في ذاته تعالى ولا في صفاته ولا في أفعاله. قال تعالى: (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير)"¹⁸⁰. فهذا هو فكر ابن عاشر ومنهجه العقدي، وهو الذي حفظه طلبة العلم المغاربة منذ زمن وبنوا عليه ثوابتهم الدينية؛ والذي قرر منهجه الأشعري في كتبه وعلى رأسها "كتاب اللع".

هذا جملة القول في المنهج الاستدلالي العقدي عند أشاعرة المغرب.

المطلب الرابع: مقاصد الخطاب للمعرفة العقديّة في المدرسة الأشعرية بالغرب الإسلامي:

لقد استطاع الإمام أبو الحسن الأشعري بمنهجه الوسطي الذي استعمله في الدفاع عن عقائد أهل السنة والجماعة أن يتدرج بمفكري هذه العقائد من مستوى النظرة الضيقة للنصوص العقديّة أو القراءة الحرفية لتلك النصوص والتي تنتهي حتماً إلى إقرار عقيدة التشبيه والتجسيم المرفوضة إسلامياً؛ إلى مستوى سامي من التفكير العقلاني الذي يحقق التنزيه المطلق. وعلى منهجه سار أشاعرة الغرب الإسلامي.

ولقد قام أئمة المذهب الأشعري بدور بارز في التأسيس للفكر السني العقلاني الذي كان يقوم بمهمتين أساسيتين:

- الدفاع عن عقيدة أهل السنة والجماعة بأسلحة من الأدلة العقلية والمنطقية، ومناظرة مختلف التيارات الكلامية التي استعملت نفس الأدوات.
- التذليل على قضايا أصول الدين في أسلوب يحقق مبدأ الإتيان والانتفاع في نطاق التأويل التفصيلي للنصوص الشرعية الموهمة للتشبيه.

مقاصد علم التوحيد حسب المذهب الأشعري:

أما مقاصد علم التوحيد على الطريقة الأشعرية فيمكن إجمالها في الآتي:

- الترفي من حضيض التقليد إلى ذروة الإيقان، إذ من شروط المعرفة العقديّة: الجزم، والمطابقة للواقع، وكونها ناشئة عن دليل.
- القيام بفرض مجمع عليه وهو معرفة الله تعالى بصفاته الواجب ثبوتها له مع تنزيهه عما يستحيل اتصافه به، والتصديق برسله على وجه اليقين الذي تطمئن به النفس اعتماداً على الدليل لا استرسالاً مع التقليد.
- إرشاد المسترشدين بإيضاح الطريق والمحنة، وإلزام المعاندين بإقامة الدليل والحجة.
- حفظ قواعد الدين عن أن تزلزلها شبه المبطلين وتحريف الغالين وتأويل الجاهلين.
- أن هذا العلم الشريف يبنى عليه العلوم الشرعية فإنه أساسها ومرجعها.
- تصحيح النية والاعتقاد. إذ به يرجى قبول العمل وغاية ذلك كله الفوز بسعادة الدارين.¹⁸¹

¹⁸⁰ - المصدر نفسه، ص: 24-25.

¹⁸¹ - أنظر: المواقف في علم الكلام للإيجي ص: 8. / شرح جوهرة التوحيد للباحوري، ص: 45 / رسالة التوحيد للشيخ محمد عبده، ص: 79.

▪ أن العلوم الشرعية كلها مفترقة إليه، ومتوقفة في تحققها عليه.¹⁸² وقد سمي هذا العلم الشريف بأصول الدين لأن الدين يبني عليه، "فإن التعبد فرع وجود الإيمان، حتى إن مضمونه من معرفة الله تعالى هو المقصود بالذات، على التحقيق."¹⁸³

خاتمة:

بعد هذا العرض المقتضب لآليات البحث ومقاصد الخطاب للمعرفة العقديّة في المدرسة الأشعرية بالغرب الإسلامي - من خلال جهود علماء الغرب الإسلامي - أخلص إلى النتائج الآتية:

أولاً: يعتبر المذهب الأشعري من أقوى المذاهب الكلامية السنية، باعتباره - كما يستنتج أحد الدارسين - من أقوى مدارس الفكر الفلسفي الإسلامي، تضم أقوى الشخصيات، وتمتع بأخصب الآراء...¹⁸⁴

كما يعد هذا المذهب السني الجماعي استئنافاً للنظر العقلي المسدد بالشرع، ومؤسساً لمنطق الاعتقاد الإسلامي الذي يستمد مادته من القرآن الكريم ومن السنة النبوية المطهرة.

ثانياً: لقد انتصر أئمة المذهب الأشعري في مبحث التوحيد لمعتقد السلف الصالح، القائم على الإثبات المفصل والمحمل للصفات على خلاف اتجاهات كلامية أخرى، اختارت النفي مذهبا لها، أو سقطت في أحوال التشبيه والتجسيم.

ثالثاً: لقد استعان أئمة المذهب الأشعري بالتأويل بوصفه أداة لتحقيق التنزيه في صورته الشرعية، ضداً على عقيدة التشبيه والتجسيم المرفوضة إسلامياً. كل ذلك في إطار التأويل التفصيلي للنصوص الموهمة للتشبيه، وفي احترام كامل لنصوص الشرع الحكيم.

رابعاً: لقد توسطت أئمة المذهب الأشعري في علاقة العقل بالنقل، مع الانتصار لمنطق الشرع، فبعد التسليم بكون العقائد الإيمانية الإسلامية ثابتة شرعاً ابتداءً، توسل أئمة المذهب الأشعري بالعقل للدفاع عن تلك العقائد، بمقتضى أن السمع لا يُوجدُ المعرفة، بل يُوجِبُها كما يقول الشهرستاني¹⁸⁵.

خامساً: لقد رفض أئمة المذهب الأشعري تكفير أهل القبلة من المسلمين، ومما أثر عن الإمام الأشعري رحمه الله كما يذكر زاهر بن خالد بن أحمد السرخسي قال: لما قرب حضور أجل أبي الحسن الأشعري في داره ببغداد، دعاني فأتيته، فقال: اشهد علي أي لا أكفر أحداً من أهل هذه القبلة، لأن الكل يشيرون إلى معبود واحد وإنما هذا كله اختلاف العبارات.¹⁸⁶

وهذا المبدأ العقدي أصبح راسخاً في المذهب الأشعري، حيث عظم على أئمة رمي خصومهم بالكفر... ثم إن تحصيل هذا الأصل العقدي - عدم تكفير أهل القبلة من المسلمين - واستيعابه ضروري لمواجهة بعض التيارات الفكرية التي تعيد إنتاج فكر تكفيري تضليلي عديمي من حيث المنهج، تيّبسي من حيث الأبعاد والمضامين.

¹⁸² - الإسعاد في شرح الإرشاد، المشتمل على قواعد الاعتقاد، لإمام الحرمين أبي المعالي عبد الملك الجويني، تأليف الإمام عبد العزيز بن إبراهيم المعروف بابن بزيّة التونسي، ص: 46 تحقيق د. عبد الرزاق بسرور ود. عماد السهلي، طبعة دار صادر، الكويت الطبعة الأولى 1435هـ/2014م.

¹⁸³ - القانون في أحكام العلم وأحكام العالم وأحكام المتعلم، لأبي المواهب الحسن بن مسعود اليوسي، 168، تحقيق حماني اليوسي، مطبعة فضالة المحمدية، المغرب، الطبعة الثانية شتنبر 2013.

¹⁸⁴ - نشأة الأشعرية وتطورها، د. جلال محمد موسى، ص: 459.

¹⁸⁵ - الملل والنحل للشهرستاني، ج 1 ص: 42.

¹⁸⁶ - سير أعلام النبلاء، للإمام الذهبي، ج 15 ص: 88.

سادسا: لقد تميز المذهب الأشعري في مجال الاشتغال العقدي الإسلامي بالوسطية والاعتدال التي تقوم على أساس التوفيق بين المذاهب الكلامية الإسلامية. وقد التزم أئمة المذهب الأشعري هذا المنهج الوسطي التوفيق في عرض جميع عناصر العقيدة الإسلامية: الإلهيات والنبوات والسمعيات والإمامة العظمى.

سابعا: لقد أدرك أئمة المذهب الأشعري مكانة الصحابة -رضوان الله عليهم أجمعين- ودورهم في حفظ الشريعة، وأن النيل منهم والظعن فيهم مدخل لهدم الدين من الداخل.

ومن ثم رأينا أئمة المذهب الأشعري يخصصون في آخر مؤلفاتهم العقدية مبحثا مهما لبيان عقيدة أهل السنة في الصحابة، وتدابير الخلاف الذي جرى بينهم، والدعوة إلى فهم ذلك في ضوء نصوص الشرع الحكيم، وفي نطاق استحضار قيم الاختلاف الحمود الناتج عن الاجتهاد الذي وصفوا به جميعهم، على أن الأسلم للدين عدم الخوض في شيء من ذلك. لأنه كما قال بعض المعتبرين: "تلك دماء طَهَّرَ اللهُ سيوفنا منها، أفلا نُطَهِّرُ ألسنتنا منها."¹⁸⁷

ثامنا: من المقرر في المذهب الأشعري أن الإمامة العظمى هي خلافة لرسول الله صلى الله عليه وسلم في إقامة الدين وحفظ حوزة الملة. ومن ثم أوجب أئمة المذهب الأشعري على جميع أفراد الأمة طاعة ولي الأمر وعدم الخروج عليه. يقول ابن أبي زيد القيرواني: "... والسمع والطاعة لأئمة المسلمين من ولاة أمورهم وعلمائهم."¹⁸⁸ ويقول الإمام أبو جعفر الطحاوي (ت 321هـ): "ولا نرى الخروج على أئمتنا وولاة أمورنا وإن جاروا، ولا ندعو على أحد منهم، ولا ننزع يدا من طلعتهم، ونرى طاعتهم من طاعة الله عز وجل، ما لم يأمرنا بمعصية، ندعو لهم بالصلاح والنجاح والمعافاة، وتبوع السنة والجماعة ونجتنب الشذوذ والخلاف والفرقة"¹⁸⁹.

وهذا المعتقد هو الذي أجمع عليه أهل السنة أصحاب الحديث. كما يذكر الإمام الأشعري وينتصر له.¹⁹⁰

تاسعا: تمكن المذهب الأشعري من وقف كثير من المدارس التي كانت تقدم نفسها للناس على أنها المتفردة بمخاطبة الفكر دون سواها وتمكن من الانتشار في كل بقاع العالم الإسلامي

عاشرا: خلقت الأشعرية رفقة المذهب المالكي والتصوف السني انسجاما مذهبيا وعقديا في المغرب جنبه كثيرا من القلاقل والفتن التي تقع في مناطق مختلفة من العالم الإسلامي بسبب الخلافات العقدية. وتبعتها لمختلف الأطوار التاريخية التي مر بها هذا الفكر في هذه المنطقة بالذات ككشف لنا الآليات التي كانت تحركه، وأوجه تميزه واستقلالته عن المدرسة الأشعرية في المشرق، وطبيعة العلاقة الجدلية القائمة بين هذا الفكر وخصوصية الواقع المغربي المميز، وملايساته التاريخية والاجتماعية والسياسية التي عرفها. سيما وأن الفكر الأشعري المغربي قد عرف قفزة نوعية، سواء من حيث تطوره التاريخي الحضاري، أو من حيث مضامينه وثوابته، أو منهجيته الفكرية والنظرية بفضل جهود علماء الغرب الإسلامي.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.../.

187- أباكار الأفاكار في أصول الدين، للإمام سيف الدين الأمدى، ج5ص:295. أباكار الأفاكار، ميكرو فيلم بمركز البحث العلمي وإحياء التراث بجامعة أم القرى مصور عن مكتبة أيا صوفيا بتركيا برقم 2165 توحيد 125/1ب.

188- رسالة ابن أبي زيد القيرواني باب ما تنطق به الألسنة وتعتقد الأفئدة من واجب أمور الديانات.

189- العقيدة الطحاوية المسماة ببيان السنة والجماعة.

190- مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، للإمام الأشعري، ص: 295 عني بتصحيحه هلموت ريتز. مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين. تأليف: الإمام أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، قدم له وكتب حواشيه الأستاذ نعيم زرزور، المكتبة العصرية صيدا، بيروت، الطبعة الأولى 1426 هـ.

لائحة المصادر والمراجع:

1- القرآن الكريم

2- إبطال التأويلات لأخبار الصفات، للقاضي أبي يعلى محمد بن الحسين الفراء، تحقيق: محمد بن حمد الحمود النجدي، الناشر: دار الإمام الذهبي في الكويت ط 1 1410 .

3- أبحاث الأفكار في أصول الدين، للإمام سيف الدين الأمدي، ميكرو فيلم بمركز البحث العلمي وإحياء التراث بجامعة أم القرى مصور عن مكتبة أيا صوفيا بتركيا برقم 2165 توحيد 125/1 ب.

4- ابن خمير السبتي، مقدمات المرشد، تحقيق: أحمد عبد الرحيم السايح-توفيق علي وهبة، مكتبة الثقافة الدينية، ط: 1، س ط: 1429هـ/2008م

5- أعز ما يطلب، محمد بن تومرت، تحقيق: عمار طالي، وزارة الثقافة الجزائرية-الجزائر عاصمة الثقافة العربية، 2007،

6- الإبانة عن أصول الديانة للإمام أبي الحسن الأشعري، تحقيق: بشير عون، تقديم فضيلة الشيخ حماد بن محمد الأنصاري، الناشر: دار البصيرة 1413 هـ .

7- الإبانة عن أصول الديانة، تحقيق وتعليق الدكتورة فويزة حسين محمود، الناشر دار الأنصار، القاهرة الطبعة الأولى 1397 هـ

8- الإرشاد إلى قواطع الأدلة، لأبي المعالي الجويني، تحقيق: محمد مرسي وعلي عبد المنعم، الناشر: مكتبة الخانجي، 1369 هـ

9- الإستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى الناصري أحمد بن خالد: ط1، الدار البيضاء، دار الكتاب، 1997

10- الإسعاد في شرح الإرشاد، المشتمل على قواعد الاعتقاد، لإمام الحرمين أبي المعالي عبد الملك الجويني، تأليف الإمام عبد العزيز بن إبراهيم المعروف بابن بزيمة التونسي، ص: 46 تحقيق د. عبد الرزاق بسرور ود. عماد السهيلي، طبعة دار صادر، الكويت الطبعة الأولى 1435هـ/2014م.

11- الإمام أبو الحسن الأشعري فحص نقدي لعلم الكلام الإسلامي تأليف: الدكتور محمد إبراهيم الفيومي، للناشر: دار الفكر العربي، القاهرة، الطبعة الأولى 1423 هـ .

12- الإمام أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري وآراؤه الكلامية ن في كتابه اللمع. رسالة دكتوراة، تأليف: إبراهيم محمد بركان الناشر: جامعة آل البيت في الأردن، عام 1997 م.

- 13- الإمام أبو بكر محمد بن الحسن بن فورك وأثره في المدرسة الأشعرية، إعداد الباحث: السيد أحمد محمود عبد الغفار، رسالة دكتوراة / جامعة الأزهر، قسم العقيدة والفلسفة، 1409 هـ - 1989 م.
- 14- التشوف إلى رجال التصوف، تحقيق أحمد التوفيق، ط:2، س:1997،
- 15- التنبيه والإرشاد في علم الاعتقاد لأبي الحجاج يوسف الضير، تحقيق: سمير قوبيع-محمد العمراني-نور الدين شعبي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية-المغربية، دار أبي رقرق للطباعة والنشر، ط:1، 1435هـ/2014م،
- 16- الدر الثمين والموارد المعين شرح المرشد المعين على الضروري من علوم الدين، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن محمد الفاسي الشهير بميارة، دار الفكر، ط:1، 1429هـ/2008م،
- 17- العقيدة البرهانية والفصول الإيمانية للسلاجي، شرح العقباتي، تحقيق: نزار حمادي، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، بيروت-لبنان، ط:1، س ط:1429هـ/2008م
- 18- العقيدة الطحاوية المسماة بيان السنة والجماعة لأبي جعفر الطحاوي الحنفي ت 321هـ، شرح عبد الغني الغنيمي الميداني الحنفي ت 1298هـ، تقديم محمد صالح الفرفور، تحقيق محمد مطيع الحافظ ومحمد رياض المالح، الناشر: دار الفكر دمشق سورية ط 2 سنة: 1412هـ.
- 19- الغنية للقاضي عياض، تحقيق: ماهر زهير جرار، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، ط:1، س ط:1402هـ/1982م،
- 20- القانون في أحكام العلم وأحكام العالم وأحكام المتعلم، لأبي المواهب الحسن بن مسعود اليوسي، تحقيق حماني اليوسي، مطبعة فضالة المحمدية، المغرب، الطبعة الثانية شتنبر 2013م.
- 21- الملل والنحل لأبي الفتح الشهرستاني، تحقيق: محمد عبد القادر الفاضلي، الناشر: المكتبة العصرية، بيروت، لبنان ط1426هـ
- 22- المهدي بن تومرت، عبد المجيد النجار، ط:1، س ط:1403هـ/1983م،
- 23- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، المعروف بالخطط المقرئية، تأليف تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي المقرئ، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، الطبعة الثانية.

- 24- المواقف في علم الكلام، القاضي عبد الرحمن بن احمد الإيجي، تحقيق د. عبد الرحمن عميرة، دار الجليل - بيروت، الطبعة الأولى، 1997م.
- 25- تاريخ ابن خلدون، تحقيق: خليل شحادة، مراجعة: سهيل زكار، دار الفكر، 1421هـ/2000م،
- 26- تبين كذب المفتري فيما نسب الى الامام الحسن الاشعري لابي القاسم ابن عساكر الدمشقي تعليق محمد زاهد الكوثري الناشر المكتبة الازهرية للتراث القاهرة مصر الطبعة الاولى دت
- 27- تجربة الإصلاح في حركة المهدي بن تومرت، عبد المجيد النجار، المعهد العالمي للفكر الإسلامي-فيرجينيا، ط: 2، س ط: 1415هـ/1995،
- 28- ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك للقاضي عياض تحقيق: محمد بن تاويت د. محمد بنشريفية وآخرون الناشر: وزارة الأوقاف المغربية، الرباط المغرب، د. ت.
- 29- تطور المذهب الأشعري في الغرب الإسلامي، يوسف احنانا، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 2003،
- 30- تفسير التحرير والتنوير، لابن عاشور، بدون محقق، الناشر: الدار التونسية، طبعة، 1984 م.
- 31- تفسير الفخر الرازي: -المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب لمحمد الرازي، قدم له خليل الميس، الناشر: المكتبة التجارية لمصطفى الباز، بمكة المكرمة طبعة، 1414 هـ.
- 32- درء تعارض العقل والنقل ابن تيمية أحمد بن عبد الله. تحقيق الدكتور محمد رشاد سالم، طبع مطبعة دار الكتب، سنة 1971م.
- 33- ذكريات مشاهير رجال المغرب في العلم والأدب والسياسة، عبد الله كنون، مركز التراث الثقافي المغربي، دار ابن حزم، بيروت-لبنان، ط: 1، س ط: 2010،
- 34- رسالة ابن أبي زيد القيرواني (مالك الصغير) لأبي محمد عبد الله ابن أبي زيد القيرواني (310هـ - 386 هـ) ومعها إيضاح المعاني على رسالة القيرواني لأحمد مصطفى قاسم الطهطاوي، الناشر: دار الفضيلة القاهرة 2005م .
- 35- رسالة إلى أهل الثغر، أبو الحسن الأشعري، تحقيق: عبد الله شاعر الجنيد، ط: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، 1988،

